فرقة الانكشارية في الدولة العثمانية

قراءة تفسيرية جديدة

دكتور

أحمد عبد اللّه نـجم

فرقة الانكشارية في الدولة العثمانية

قراءة تفسيرية جديدة

الطبعة الأولى
1
(١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م)

اسم الكتاب : فرقة الانكشارية في الدولة العثمانية
قراءة تفسيرية جديدة

اسم المؤلف : د. أحمد عبد الله نجم

موضوع الكتاب : تاريخ

عدد الصفحات : 96 صفحة

مقاس الكتاب : 17 x 24 سم

الترقيم الدولي : 978-605-69742-4-6



التوزيع والنشر
6/11 شارع وحيد أفندي - حي توفيق بيك - كوجوك
جكمجة - اسطنبول - تركيا - ت: 00905454886870
هاتف: 00201027013326 - 00201555566139
E-mail: info@arabhistorypublishing.com
Websit: www.arabhistorypublishing.com

مركز التاريخ العربي للنشر
Arab History Publishing

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾

آل عمران: ١٤٠

الإهداء

تحيـة تقـدير وإجـلال وإكبـار إلـى روح الراحل الحبيب سيدي الوالد إلى المعلـم الفاضـل والمربـي الحنـون الـذي علمنـي معنـى الحيـاة وأرشـدني إلـى كـل نبيـل فيها أهدي إليك نبتـة مـن غـرس يـديك وأدعو الله تعالى أن أكون الابن والرجـل الذي كنت تتمنى

أحمد

المقدمة

تمثل فرقة الانكشارية- ذلك التنظيم العسكري الذي عرفته الدولة العثمانية منذ نشأتها المبكرة- إحدى القضايا الأساسية في تاريخ تلك الدولة، إذ ظل هذا التنظيم يلعب أدوارًا متنوعة إن سلبًا أو إيجابًا عبر تاريخ تلك الدولة، حتى انتهى الأمر بالقضاء عليه والتخلص منه.

والواقع أن ذلك التنظيم قد تمت دراسته مرات عديدة، ولكن ظلت جميع الدراسات السابقة عاجزة عن تأطير ما قامت به الانكشارية ضمن نسق واحد يملك المقدرة على تفسير أسباب تأسيس هذا التنظيم وصيرورته في تاريخ الدولة العثمانية، والدوافع التي دعته في أحيان كثيرة ليلعب أدوارًا سلبية تمثلت في عدد كبير من التمردات التي استنفذت كثيرًا من مجهود تلك الدولة وطاقاتها، وأخيرًا إلغاء ذلك التنظيم بتلك الصورة التي جرت بها عملية الإلغاء من الإبادة الجماعية لأفراده دون النظر لوحشية ذلك الفعل من عدمه.

ومن ثم كانت الحاجة ملحة لتناول ذلك التنظيم العسكري بالدراسة من خلال مفهوم تفسيري شامل هو مفهوم "**الجماعات الوظيفية**" **Functional Groups**، ذلك المفهوم الذي نعتقد أن له المقدرة التحليلية والتفسيرية الكاملة التي يمكن من خلالها تفسير وجود الانكشارية في حركة التاريخ العثماني بشكل كلي، ويستطيع أن يجيب على تساؤلات من قبيل: ما هي الأسباب الحقيقية لتكوين فرقة الانكشارية؟ ولماذا تدخلت الانكشارية بشكل سافر في السياسة حتى وصل هذا التدخل في بعض الأحيان إلى حد قتل السلطان والتخلص منه؟ وما هي الأسباب الحقيقية لقيام الانكشارية بالعديد من التمردات؟ ولماذا كان القتل والبتر والاستئصال- وليس الحبس والإبعاد مثلاً- هو الحل الوحيد للتخلص من هذا التشكيل العسكري؟.

ولتحقيق الهدف المرجو من تلك الدراسة؛ وجدنا أنه من الأنسب أن نتناولها في مدخل ومبحثين وخاتمة، جعلنا المدخل تحت عنوان "**الإطار النظري للدراسة**"، وتناولنا فيه التعريف بمفهوم الجماعة الوظيفية وأهم صفاتها.

أما **المبحث الأول** فجاء تحت عنوان "**نشأة الانكشارية وتطورها كجماعة وظيفية: الأسباب والدوافع**".

ويتناول هذا المبحث نشأة الانكشارية وتطورها بحسبانها جماعة وظيفية، موضحًا التماثل والتطابق بين مفهوم الجماعة الوظيفية في بعدها النظري والانكشارية كإحدى التجليات لذلك المفهوم في بعده التطبيقي.

وجعلنا **المبحث الثاني** تحت عنوان "**فساد الإنكشارية كجماعة وظيفية:** الأسباب **والمظاهر والنتائج**".

ويتناول هذا المبحث فساد الانكشارية كجماعة، وظيفية موضحًا أسباب انحراف الانكشارية عن ماهيتها كجماعة وظيفية، وفسادها، وأهم مظاهر ذلك الفساد، والتي تمثلت في تدخل الانكشارية في السياسة، وقيامهم بكثير من التمردات والفتن، وما أدت إليه من نتائج كانت محصلتها في نهاية الأمر إلغاء فرقة الانكشارية والقضاء على أفرادها.

وسجلنا في الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وفي الختام، أسأل الله تعالى أن أكون قد وُفقت من خلال مفهوم الجماعة الوظيفية إلى تقديم هذا الكتاب الذي نأمل أن يكون قد أضاف جديدًا لتلك الدراسات الكثيرة التي كتبت عن الانكشارية، واستطاع أن يكمل بناء الصورة التاريخية لتلك الفرقة والذي نعتقد أنه لم يكن ليكتمل بدونه.

والله تعالى من وراء القصد، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أحمد عبد الله نجم
رجب ١٤٤٢هـ/ مارس ٢٠٢١م
القاهرة

المدخل
الإطار النظري للدراسة

تعتمد تلك الدراسة في الأساس على مفهوم الجماعة الوظيفية، ذلك المفهوم الجديد في الدراسات الإنسانية الذي صكّه ووضع أساسه النظري المفكر الكبير الأستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيري[1] في العقد الأخير من القرن العشرين.

---

(1) **الأستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيري:** مفكر عربي إسلامي. وُلد في دمنهور ١٩٣٨.التحق عام ١٩٥٥م بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة الأسكندرية، وعُين معيدًا فيها عند تخرجه، وسافر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٦٣م حيث حصل على درجة الماجستير عام ١٩٦٤م من جامعة كولومبيا ثم على درجة الدكتوراه من جامعة رَتْجَرز عام ١٩٦٩م.وعند عودته إلى مصر قام بالتدريس في جامعة عين شمس وفي عدة جامعات عربية من أهمها جامعة الملك سعود (١٩٨٣- ١٩٨٨م)، كما عمل أستاذا زائرًا في أكاديمية ناصر العسكرية، وجامعة ماليزيا الإسلامية، وعضوًا في مجلس الخبراء بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام (١٩٧٠- ١٩٧٥م)، ومستشارًا ثقافيًا للوفد الدائم لجامعة الدول العربية لدى هيئة الأمم المتحدة بنيويورك (١٩٧٥- ١٩٧٩م). وعضوًا في مجلس الأمناء لجامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بليسبرج، بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية، ومستشار التحرير في عدد من الحوليات التي تصدر في ماليزيا وإيران والولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا. وقد توفي رحمه الله فجر يوم الخميس الثالث من يوليو عام ٢٠٠٨م بمستشفى فلسطين بالقاهرة عن عمر يناهز السبعين عامًا بعد صراع طويل مع مرض السرطان.

وقد نال الدكتور المسيرى عدة جوائز من بينها جائزة أحسن كتاب في معرض القاهرة الدولي للكتاب عام (٢٠٠٠) عن موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ثم عام (٢٠٠١) عن كتاب رحلتي الفكرية، وجائزة العويس عام (٢٠٠٢م) عن مجمل إنتاجه الفكري. كما حصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب لعام (٢٠٠٤م). وقد نال عدة جوائز محلية وعالمية عن قصصه وعن ديوان شعره للأطفال .

من أهم أعماله:

- نهاية التاريخ: مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني (مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة ١٩٧٢).

- موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: رؤية نقدية (مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القـــاهرة ١٩٧٥).
- الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة (جزءان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨١ م).
- الغرب والعالم: تأليف كيفين رايلي (ترجمة بالاشتراك، جزءان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٥).
- الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية: دراسة في الإدراك والكرامة (منظمة التحرير الفلسطينية، تونس ١٩٨٧؛ المطبعة الفنية، القاهرة ١٩٨٨؛ الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠).
- الجمعيات السرية في العالم (دار الهلال، كتاب الهلال، القاهرة ١٩٩٣).
- إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد (تأليف وتحرير جزءان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة ١٩٩٣؛ جزءان، واشنطن ١٩٩٦؛ سبعة أجزاء؛ القاهرة ١٩٩٨).
- الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ: رؤية حضارية جديدة (دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨ ــ ٢٠٠١).
- موسوعة تاريخ الصهيونية (ثلاثة أجزاء، دار الحسام، القاهرة ١٩٩٧).
- اليد الخفية: دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية (دار الشروق، القاهرة ١٩٩٨؛ الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠؛ دار الشروق ٢٠٠١).
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد (ثمانية مجلدات، دار الشروق، ١٩٩٩).
- العالم من منظور غربي، (دار الهلال، كتاب الهلال، القاهرة ٢٠٠١).
- الجماعات الوظيفية اليهودية: نموذج تفسيري جديد، (دار الشروق، القاهرة ٢٠٠١).
- الإنسان والحضارة والنماذج المركبة: دراسات نظرية وتطبيقية (كتاب الهلال، القاهرة ٢٠٠٢).
- مقدمة لدراسة الصراع العربي ــ الإسرائيلي: جذوره ومساره ومستقبله (دار الفكر، دمشق ٢٠٠٢).
- الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، (دار الفكر، دمشق ٢٠٠٢).
- العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، (جزءان، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٢م). انظر، www.elmessiri.com

والجماعة الوظيفية في رأي الدكتور عبد الوهاب المسيري هي: "نموذج تحليلي يمكن أن نصنفه بأنه جديد قديم، باعتبار أن كثيرًا من المفكرين في الغرب قد استخدموه دون تسمية مثل كارل ماركس وماكس فيبر وإبراهام ليون وفي غيره من المواضع، وباعتبار أنه كامن في كثير من الدراسات التي كُتبت عن الجماعات اليهودية وغيرها من الأقليات مثل الأرمن"(٢).

ورغم أنه قد جرت محاولات في علم الاجتماع لوصف بعض الجماعات الوظيفية من خلال مجموعة من المصطلحات من بينها "الأقلية الوسيطة"، "الوسطاء المهاجرون"، "الأقليات الدائمة". إلا أن علماء الاجتماع في الغرب قد أهملوا الجماعات الوظيفية الأخرى فلم يدرسوها تمامًا، أو قاموا بدراستها وكأنها لا علاقة لها بالجماعات الوظيفية التجارية والمالية، ولذا فهم يتعاملون مع ظواهر مثل الجواري والمماليك، والانكشارية، والبغايا، والمرتزقة باعتبارها ظواهر غير ذات صلة(٣).

ونموذج الجماعة الوظيفية الذي وضعه الدكتور عبد الوهاب المسيري يختلف عن مفاهيم "الطبقة"(٤) و"الفئة الاجتماعية"(٥) و"الطبقة

---

(٢) **انظر عبد الوهاب المسيري:** موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٩٩٩م، المجلد الأول، ص ٣٥٩

(٣) **انظر، عبد الوهاب المسيري:** الموسوعة....، مرجع سابق، ص ٣٥٩

(٤) هي فئة كبيرة من الناس تتميز بمركز اجتماعي واقتصادي واحد بالنسبة للفئات الأخرى في المجتمع. والطبقة غير منظمة ولكن الأفراد الذين تتكون منهم يتشابهون مع بعضهم البعض في التعليم والحالة الاقتصادية والمركز الاجتماعي.ويعتبر بعض الباحثين الطبقة ذات طبيعة اقتصادية في أساسها، بينما يميل البعض الآخر إلى التأكيد على عوامل النفوذ ونمط الحياة والاتجاهات. **انظر، أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت،١٩٨٢م،ص٦٢.

الاجتماعية"[٦] و"الطائفة"[٧] و"الشريحة الطبقية"[٨]، ذلك أن مفهوم الجماعة الوظيفية نموذج تركيبي مكثف له مقدرة تفسيرية عالية تفوق المقدرة التفسيرية لكثير من النماذج التفسيرية السابقة. إذ إنه لا يقف عند حدود الاعتبارات الاقتصادية والسياسية المباشرة؛ بل يحاول أن يتجاوزها ليصل إلى الجوانب الحضارية والمعرفية، ويغطي الأصول الاجتماعية والتاريخية والإثنية، والسمات البنيوية للظواهر موضع الدراسة، ومسارها التاريخي، ورؤية أعضائها للكون[٩].

---

[٥] **الفئة الاجتماعية** : جمع من أشخاص غير منتظم في نسق للتفاعل الاجتماعي، وهو بذلك لا يكون جماعة ولكنه يحظى بخصائص اجتماعية أو مراكز متشابهة. ومن الأمثلة على الفئات الاجتماعية النساء العاملات، والمسنون وأصحاب الملايين وما إلى ذلك، ومن ثم يمكن تصنيف الأشخاص بوصفهم أعضاء فئة اجتماعية مشتركة دون أن يكون لديهم إحساس بالكيان المشترك. **انظر، محمد عاطف غيث:** قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص٤١٣.

[٦] **الطبقة الاجتماعية** : يشير هذا المفهوم إلى كافة الأفراد أو الأسر الذين تتحقق لديهم في مجتمع معين خصائص متماثلة كالقوة والدخل والثروة، وقد يشير أيضًا إلى من يشغلون وضعًا معينًا يتصل بالاقتصاد ويتعلق بالثروة والدخل. **انظر، محمد عاطف غيث:** مرجع سابق، ص ٤١٧.

[٧] **الطائفة** : طبقة اجتماعية مغلقة تقوم على الوراثة لهذا تحدد المركز الاجتماعي لأعضائها، ومهنتهم، ومكان إقامتهم، وعلاقاتهم الاجتماعية، وينعدم فيها الحراك الاجتماعي، وتتميز الطائفة بالزواج الداخلي، ويمكن أن يطلق المصطلح على أي نسق ثابت للتدرج الطبقي يقوم على الوراثة. **انظر، محمد عاطف غيث:** مرجع سابق، ص ٤٨.

[٨] **الشريحة الطبقية** : هي مجموع يتكون من نفس الفئة من الأفراد والجماعات ومن نفس المستوى في عملية التدرج الطبقي كالعمال والفلاحين إلخ..، وهناك الشريحة الطبقية الدنيا ويتميز أفرادها بعقلية بدائية وقصور القدرة الخلاقة. و الشريحة الطبقية العليا وتتكون من المجموعة الرائدة في المجتمع أي الدوائر الحاكمة والمثقفة في الأمة. **انظر، أحمد زكي بدوي:** مرجع سابق،ص٤١١.

[٩] **انظر، عبد الوهاب المسيري:** الموسوعة....، مرجع سابق، ص ٣٦٠

وذلك لا يعني أنه يهمل العوامل الاقتصادية الكامنة في تلك المفاهيم؛ بل إنه يؤكد عليها، ولكنه يتعامل في ذات الوقت مع عوامل اجتماعية أخرى مثل علاقة الأقلية بالأغلبية، والنسق القيمي الذي نشأت فيه تلك الجماعة الوظيفية، وثقافتها، ومكانتها، ورؤية ذلك المجتمع لها[١٠].

سبب ظهور الجماعات الوظيفية

لعل من أهم أسباب ظهور الجماعات الوظيفية هو حاجة أعضاء النخبة الحاكمة إلى جماعة بشرية ليست لها قاعدة من القوة بسبب عزلتها عن الجماهير، يمكن استخدامها لتنفيذ مخططاتها، ولخدمة مصالحها، دون أن يكون لهذه الجماعة المقدرة على المشاركة في السلطة؛ بسبب افتقادها القاعدة الجماهيرية. وهي لهذا السبب ستلتصق تماماً بالنخبة الحاكمة، وستقوم على خدمتها بولاء أعمى؛ إذ إن بقاءها الجسدي نفسه منوط بمدى رضا النخبة الحاكمة. وعادةً ما تكون قوات الحرس الملكي، وأحياناً كل من يعمل داخل البلاط الملكي من المتعاقدين الغرباء، بل يُلاحَظ أن النخبة الحاكمة قد تَستجلب جماعة وظيفية لضرب طبقة صاعدة[١١].

تعريف الجماعة الوظيفية

يمكن تعريف الجماعة الوظيفية بأنها: "مجموعات بشرية تستجلبها المجتمعات الإنسانية من خارجها في معظم الأحيان، أو تجندها من بين أعضاء المجتمع أنفسهم من بين الأقليات الإثنية أو الدينية، ثم يوكل لأعضاء هذه المجموعات البشرية أو الجماعات الوظيفية وظائف شتى لا يمكن لغالبية

---

[١٠] **انظر، عبد الوهاب المسيري**: الموسوعة....، مرجع سابق، ص ٣٦٠.

[١١] **انظر، عبد الوهاب المسيري**: الموسوعة....، مرجع سابق، ص ٣٦٥.

أعضاء المجتمع الاضطلاع بها لأسباب مختلفة، من بينها رغبة المجتمع في الحفاظ على تراحمه وقداسته، ولذا يوكل لأعضاء الجماعات الوظيفية بعض الوظائف المشينة كالربا والبغاء، أو المتميزة كالطب والترجمة التي تتطلب الحياد والتعاقدية. كما أنه يوكل لأعضاء الجماعات الوظيفية الوظائف ذات الحساسية الخاصة وذات الطابع الأمني كحرس الملك والأطباء.

ويتوارث أعضاء الجماعات الوظيفية الخبرات، كلٌّ في مجال تخصصهم الوظيفي عبر الأجيال، ويحتكرونها، بل يتوحدون بها، وفي نهاية الأمر يكتسبون هويتهم ورؤيتهم لأنفسهم منها، بحيث يتم تعريف الإنسان من خلال الوظيفة وحسب، لا من خلال إنسانيته الكاملة، فيصبح عضو الجماعة الوظيفية إنسانًا ذا بعد واحد، يمكن اختزال إنسانيته إلى هذا البعد أو المبدأ الواحد، وهو وظيفته[١٢].

ولعل من أشهر الجماعات الوظيفية التي عرفتها المجتمعات الإنسانية "**الجماعة الوظيفية المالية**"، و"**الجماعة الوظيفية القتالية**".

ويمكن تعريف الجماعة الوظيفية المالية بأنها: "الجماعة التي يضطلع أعضاؤها بوظائف مالية مختلفة مثل الربا والسمسرة وجمع الضرائب[١٣]. وقد اضطلع اليهود في أغلب الأحيان بالقيام بتلك المهمة وتشكلت منهم تلك الجماعة الوظيفية التي عرفتها المجتمعات الأوروبية المسيحية، وعرفتها أيضًا المجتمعات المسلمة، من بينها المجتمع العثماني.

ولكن لم يستطع اليهود كجماعة وظيفية مالية في الدولة العثمانية الحصول على ربًا فاحش عند إقراضهم النقود كما كان الحال في أوروبا.

---

(١٢) **عبد الوهاب المسيري**: الموسوعة....، مرجع سابق، ص٣٦١.

(١٣) **عبد الوهاب المسيري**: الموسوعة....، مرجع سابق، ص ٣٦٦.

ويرجع سبب ذلك إلى وجود الأوقاف بأعداد كبيرة في الدولة العثمانية، فكان أصحاب الحاجات لا يشعرون بالحاجة إلى الحصول على قروض بالربا بسبب دعم الأوقاف لهم. ولكن اليهود لم يتخلوا عن الاشتغال بالربا، وكانوا يأخذون فائدة تبلغ خمسة وعشرين بالمائة لكل ثلاثة أشهر على كل قرض[١٤].

أما ثاني تلك الجماعات الوظيفية المهمة فهي: "**الجماعة الوظيفية القتالية**"؛ وهي تلك الجماعة التي يضطلع أعضاؤها بدور القتال وحسب، مثل جنود المماليك، والانكشارية، والساموراي، والحرس السويسري في أوروبا[١٥].

والجندي في الجماعة الوظيفية القتالية يُستَجلب من خارج المجتمع، أو يُجَند من داخله، وعادة يكون من صفوف الأقلية الإثنية أو دينية معينة لها علاقة خاصة بالمجتمع. وهو يقوم بالقتال من أجل المال بالدرجة الأولى، فالدوافع هنا يجب ألا تكون دوافع داخلية مركبة، من قبيل الانتماء، وحب الوطن والانتقام، بل لابد أن يكون الدافع خارجيًّا بسيطًا، وهو الربح المادي الذي يأخذ صور في شكل مادي عاجل ومباشر كالراتب الشهري، أو آجل كالإقطاعية أو غيرها من العوائد المادية[١٦].

وعادة ما يعيش هؤلاء الجنود على مقربة من أعضاء الأغلبية، ولكنهم مع هذا يظلون في عزلة عنهم، فهم مُنبَتُّو الصلة بالجماهير، مرتبطون بالنخبة الحاكمة التي تسخرهم لمصلحتها دون أن تخشى بأسهم أو

---

(١٤) **أحمد حكمت أر أوغلو:** اليهود في الدولة العثمانية حتى نهاية القرن التاسع عشر، ترجمة وتقديم وتعليق د. أحمد عبد الله نجم، مركز أركان للدراسات والأبحاث والنشر، القاهرة، ط ١، ٢٠١٩م، ص ١٩٥.

(١٥) **عبد الوهاب المسيري:** الموسوعة....، مرجع سابق، ص ٣٦٦.

(١٦) **عبد الوهاب المسيري:** الموسوعة.....، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٢٤٥

تخاف من أن يقوموا بمحاولة المشاركة في السلطة أو القرار السياسي. فهم بلا قاعدة ولا شرعية، ولا سلطات إلا ما يستمدونه من الراعي. وذلك على عكس المقاتلين من أعضاء الأغلبية، فهؤلاء عادة ما يطالبون بنصيبهم في السلطة إن قويت شوكتهم، كما أنهم يستندون إلى قاعدة جماهيرية يستمدون منها الشرعية[١٧].

وقد تمثلت تلك الجماعة الوظيفية في الدولة العثمانية في فرقة الانكشارية التي سنحاول دراستها في الصفحات التالية كجماعة وظيفية في الدولة العثمانية، لعبت دورًا بارزًا في تاريخ تلك الدولة. ولكن قبل أن نتناول ذلك الفصيل بالدراسة والتحليل لابد أن نتعرف أولاً على صفات الجماعة الوظيفية؛ حتى نتمكن من عقد المقارنة بينها وبين ذلك الفصيل، لكي نتمكن من الوصول إلى بعض النتائج.

صفات الجماعات الوظيفية

١. العلاقة التعاقدية النفعية:

وهي أن يدخل أعضاء المجتمع المُضِيف مع أعضاء الجماعة الوظيفية في علاقة تعاقدية نفعية محايدة رشيدة واضحة، لا تركيب فيها ولا إبهام، ويقوم كل طرف بحوسَلة الطرف الآخر، وينظر إليه باعتباره وسيلة لا غاية، وباعتباره مادة نافعة يتم التعامل معها بمقدار نفعها[١٨].

٢. العزلة والغربة والعجز:

---

(١٧) **عبد الوهاب المسيري:** الموسوعة.....، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٢٤٥

(١٨) **عبد الوهاب المسيري:** العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢م، المجلد الثاني، ص، ٢٧.

وهي تعني أن يحتفظ أعضاء المجتمع المُضِيف وأعضاء الجماعة الوظيفية بمسافة فيما بينهما، فيقوم المجتمع المُضيف بعزل أعضاء الجماعة الوظيفية، مما يجعلهم يعانون إحساسًا عميقًا بالغربة. وفي جميع الأحوال كان أعضاء الجماعة الوظيفية قريبين من النخبة الحاكمة يمارسون إحساسًا بالولاء العميق تجاهها، ولكنها في الوقت نفسه لا تشركهم في السلطة، فهم بلا أساس للقوة وبلا قاعدة بين الجماهير، مما يجعلهم في حالة خوف دائم منهم؛ ومن ثمَّ لا يطمحون في المشاركة في السلطة بسبب وضعهم هذا[١٩].

٣. الانفصال عن الزمان والمكان والإحساس بالهوية الوهمية:

وتعني انفصال أعضاء الجماعة الوظيفية عن الزمان والمكان اللذين يعيشان فيهما، فيتعمق شعورهم بالغربة وسط المجتمع المُضِيف، فيعيشون فيه دون أن يكونوا منه، ويتطور لديهم إحساسهم عميق بهويتهم المستقلة (الأوجاق على سبيل المثال في دراستنا). وتصبح الوظيفة ذاتها أو الجماعة الوظيفية هي موضع الولاء الفعلي والمباشر لعضو الجماعة الوظيفية، فهي أساس وجوده وهويته، أي أنهم يصبحون في نهاية الأمر آلة لا وطن لهم، ولكنهم يعيشون فعلاً في المجتمع المُضِيف يؤدون وظيفتهم فيه بشكل يومي؛ ومن ثمَّ فهويتهم هوية وهمية[٢٠].

٤. ازدواجية المعايير والنسبية الأخلاقية:

بمعنى أن يطور طرفا العلاقة- وهما الجماعة الوظيفية والمجتمع المُضِيف- رؤية أخلاقية ثنائية، فما يسري على الواحد من قيم أخلاقية

---

[١٩] **عبد الوهاب المسيري:** العلمانية...، مرجع سابق، ص ٢٧١.

[٢٠] **عبد الوهاب المسيري:** العلمانية...، مرجع سابق، ص ٢٧١.

مطلقة لا يسري بالضرورة على الآخر، باعتبار أن الآخر في هذه العلاقة يقع خارج نطاق المحرمات والمطلقات الأخلاقية[٢١].

٥. الحركية:

وهي نتاج طبيعي لكل ما سبق من صفات، فكل ذلك يؤدي إلى حركية بالغة؛ إذ يصبح الإنسان لا جذور له ولا ارتباط، وغير ملتزم بأية منظومات قيمية، فهو يُخضِع كل شيء لإرادة القوة النيتشوية أو للتفاوض البراجماتي[٢٢].

٦. التمركز حول الذات والتمركز حول الموضوع:

وهي تعني التأرجح الشديد بين تمركز حول الذات الوظيفية باعتبارها الذات والهوية، والتمركز حول الموضوع باعتبار الوظيفة خدمة تُؤَدَّى للمجتمع. فعضو الجماعة الوظيفية قد يكون في شعب مختار، ولكنه أيضًا أداة في يد المجتمع؛ فتظهر لديه عقدة الاختيار الذي يواكبه شعور عميق بالحتمية[٢٣].

كانت هذه صفات الجماعات الوظيفية التي طرحها الأستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيري ضمن تأصيله لمفهوم الجماعة الوظيفية، وسوف نحاول في الصفحات التالية أن نفيد منها عند تناولنا لفرقة الانكشارية بالنقد والتحليل؛ في محاولة لرصد نقاط الاتفاق والتماهي بين ذلك التعريف وبين فرقة الانكشارية كنموذج لتلك الجماعات الوظيفية.

---

(٢١) **عبد الوهاب المسيري:** العلمانية...، مرجع سابق، ص ٢٧١.

(٢٢) **عبد الوهاب المسيري:** العلمانية...، مرجع سابق، ص ٢٧٢.

(٢٣) **عبد الوهاب المسيري:** العلمانية...، مرجع سابق، ص ٢٧٣.

المبحث الأول

نشأة الانكشارية وتطورها كجماعة وظيفية: الأسباب والدوافع

لم يكن للإمارة العثمانية عند قيامها جيش نظامي تعتمد عليه، فكانت عند الحاجة تجمع قوات العشائر المكونة من المجاهدين الذين كانوا جميعًا من الفرسان ثم يخرجون إلى الحرب، فإذا ما انتهت تفرقت جموعهم، وعاد كل واحد منهم إلى عمله الأصلي(٢٤).

وقد رأت الدولة العثمانية أنه من المناسب في بداية تأسيس الدولة استخدام الارستقراطية التركية وموظفين من الأتراك؛ لأن هذا كان مناسبًا أكثر لتشكيلات الدولة الإدارية التي تنتهج وتتمثل نفس تشكيلات السلاجقة الإدارية(٢٥).

والواقع أن الدولة العثمانية لم تنجح في الفتوحات بالجيوش المقاتلة فقط، بل إن زوايا الدراويش وتشكيلات الأخيان(٢٦) كانت عاملاً فعَّالاً للغاية

(٢٤) **عبد القادر أوزجان:** النُظُم العسكرية العثمانية، ضمن الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، إشراف وتقديم أكمل الدين إحسان أوغلى، ترجمة صالح سعداوي، إرسيكا، استانبول، ١٩٩٩م، ج ١، ص ٣٨١.

(25) **Ömer Barkan:** Kolonizatör Türk Dervişleri, Vakıflar Dergisi, Sayı II, Ankara, 1942, s. 282.

(٢٦) **الآخيان:** هي عبارة عن تشكيلات من أرباب الحرف؛ كانت تنتشر في كل أرجاء الأناضول. وقد قوي شأن الآخيان في المدن الكبرى إلى درجة أن أعضاءها كانوا يحضرون احتفالات اعتلاء العرش بأزيائهم الخاصة وأسلحتهم. وكان لكل جماعة منهم زاوية تعقد فيها اجتماعاتها. وكان لهم ثروات طائلة ونفوذ عظيم،وقد التحق بهذه التشكيلات عدد من رجال الدولة والقضاة والتجار والمشايخ. وقد أثرت تلك التشكيلات في كثير من أحداث تاريخ الأناضول التي وقعت في القرن الثالث عشر، وكان لها موقف معاد دائماً للحكومة المركزية. وقد لعبت الآخيان أدواراً خطيرة في تأسيس الدولة العثمانية وفي إنشاء جيش الإنكشارية. انظر، **محمد فؤاد كوبرلى:** قيام الدولة

بين الكتل الشعبية في عثمنة الأراضي المفتوحة. وذلك عن طريق الدعاية للأفكار الاجتماعية والدينية، ومن المؤكد أنها كانت عاملاً مساعدًا للغاية في تسهيل أعمال الفتوحات، وخلقت بنية مناسبة للقيام بما يتطلبه الأمر من تجديدات في البنية الاجتماعية والتأسيس السياسي[٢٧].

ويمكن القول أن تلك القوى المختلفة قد ساهمت في توطيد دعائم الدولة العثمانية عند نشأتها في عهد الأمير عثمان(١٢٨١- ١٣٢٦م) والأمير اورخان(١٣٢٦- ١٣٦٢م)، وساعدت السلطة الحاكمة على القيام بكثير من الفتوحات، وتوطين المسلمين في المدن المفتوحة حديثًا. وقد نشأت علاقات وروابط وطيدة بين الدولة الناشئة وتلك القوى الأصيلة في المجتمع المسلم آنذاك، وحدث تراض واتفاق بين الطرفين استفادت منه السلطة من دعم هذه القوى، واستفادت تلك القوى من سخاء العاهلين العثمانيين وأفراد العائلة الحاكمة وتقديرهم المعنوي[٢٨].

وقد شهد عهد الأمير أورخان تأسيس أول تشكيلات في الدولة العثمانية على يد الوزير علاء الدين باشا[٢٩]. فمنذ أن بدأت تلك الإمارة في

العثمانية، ترجمة د. أحمد السعيد سليمان، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٤٤- ١٥٠.

(27) **Ömer Barkan:** a.e.g., s. 283.

(٢٨) **انظر ايرين بيلديسينو:** البدايات عثمان واورخان، ضمن تاريخ الدولة العثمانية، إشراف روبير مانتران، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة،ط١، ١٩٩٣م، ج ١، ص ٤١-٤٢.

(٢٩) **علاء الدين باشا:** هو الابن الأكبر للأمير عثمان بك مؤسس الدولة، عقب رحيل والده استعفى عن تولي أمور الإمارة وتنازل عن العرش لأخيه أورخان الذي رأه أكثر ملائمة لتولي هذا الأمر. وأصبح مستشارًا ووزيرًا لأخيه أورخان. وتولى تنظيم عدة أمور مثل: سك العملة، وتنظيم الجيوش. وبعد أن انتهى من تلك التنظيمات تفرغ للعبادة وكان يمضي أكثر وقته في مصاحبة

التوسع والتخلى عن أصول وقواعد العشيرة القديمة شيئًا فشيئًا والتحول إلى شكل الدولة؛ ظهرت الحاجة إلى إنشاء تشكيلات تناسب وضع الإمارة الجديد، إلى جانب تشكيل أول جيش من المشاة (اليايا) (٣٠)، والفرسان (المُسّلم)، وإقامة ديوان لإدارة شؤون الدولة(٣١). وكان ذلك الجيش المكون من قوات اليايا والمسلَّم يتألف من الأتراك المسلمين أنفسهم، وكان جنوده من أصحاب الإقطاعات، فكانت الدولة تدفع لكل واحد منهم أقچتان يوميا في أثناء الحرب، أما في زمن السِّلم فكانت تعطى لهم إقطاعيات مقابل ما كانوا يؤدونه للدولة من عشور وضرائب. وقد نجحت تلك القوات مع قوات العشائر في تأمين النجاحات التي تحققت في زمن الأمير أورخان (١٣٢٦-١٣٥٩م) والأمير مراد الأول(١٣٦٢- ١٣٨٩م)(٣٢).

ولكن سرعان ما دب الحرص والطمع في صفوف ذلك الجيش المكون من الأتراك التركمان، وأصبحت تلك القوات سببًا في اختلال نظام الدولة بدلاً من المحافظة عليه. وبدأت كل فئة من هذا الجيش تتحزب للقبيلة

العلماء والصلحاء، حتى رحل في أخيه الأمير أورخان ودفن في مدينة بروسه. انظر، **محمد ثريا:** سجل عثماني، مطبعهءعامره،١٣١١،ج١، ص٥٧.

(٣٠) **اليايا** : استمر عمل هذه القوات حتى بعد تشكيل اوجاق الانكشارية وظلوا في الرومللي ليشكلوا "عسكر الإيالة" وكانوا يقومون في أثناء الحروب بالخدمات المساعدة مثل شق الطرق وإقامة الجسور وترميم القلاع، كما كانوا يقومون في وقت السلم ببعض الوظائف وخصوصًا حراسة قلاع السواحل.انظر، **صالح سعداوي:** مصطلحات التاريخ العثماني، معجم موسوعي مصور، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠١٦م، ١٣٩٥/٣، مادة "يايا".

(31) **Tayyib Gökbilgin:** Osmanlı Müesseseleri Teşkilatı ve Medeniyeti Tarihine Genel Bakış, istanbul ünv. Edebiyat Fakültesi yayınları, ist.,1977, s. 15, 19.

(32) **İsmail Hakkı Uzunçarşılı:**Osmanlı Tarihi,4 Baskı.T. T. K,Ankara, 1982,1 Cilt, S.508.

التي تنتسب إليها؛ مما يؤدي إلى انفصام عرى الوحدة التي كان العثمـــانيون يسعون غاية جهدهم إلى إيجادها.

لذا؛ اتخذت تدابير لإصلاح هذا الأمر، وبدأ التفكير في تنظـيم جنــد جديد لا خوف من تحزبه لعشيرته، على أن يكون غريباً عن الرعية لا يمت إليهم بصلة، وقد تمثل هذا في اتخاذ جنود من أبناء المسيحيين(٣٣).

أي أن الدافع لتأسيس ذلك الجيش الجديد الــذي عُـرف بعــد ذلــك بالانكشارية– تلك اللفظة المحرفة عن الكلمة التركية يني چري وتعني الجند الجديد– كان دافعًا أيديولوجيًّا في الأساس، ولم تكن له دوافع أخرى من قَبِيل عدم كفاية العنصر التركي المسلم على الإيفاء بالمطالب العسكرية المطلوبة وتكوين جيش نظامِي كبير(٣٤). أو ضرورة وجود جيش كبيــر للفتوحــات والتوسعات العثمانية(٣٥).

والدليل على ذلك قلة عدد الانكشارية مقارنة بالقوات العثمانية الأخرى، فقد ظلت قوة الفرسان التي يكّونها السباهية من أصحاب الإقطاعات هي أكبر قوات الدولة العسكرية، ولم يكن للانكشارية في القرن الرابــع عشــر أهميــة لافتة(٣٦).

---

(٣٣) انظر، **كامل پاشا:** تاريخ سياسي دولت عليه عثمانيه، مطبعة أحمد احسان، استانبول،١٣٢٧هـــ، ص١٢؛ **محمد فريد:** تاريخ الدولة العلية العثمانية، مكتبة الآداب، القــاهرة، ط ٣، ١٩٩٧م، ص ٤٢.

(٣٤) **أماني إبراهيم فودة:** التنظيم العسكري العثماني نشأته وتطوره ودوره في بناء الدولة العثمانيــة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، قسم التاريخ والآثــار المصــرية والإسلامية، ٢٠٠٧م، ص ٤٥.

(٣٥) **ســونيا البنــا:** فرقــة الانكشــارية ودورهــا فــي الدولــة العثمانيــة، ايتــراك للطباعــة والنشر،القاهرة،٢٠٠٦، ص١٢.

(٣٦) **محمد فؤاد كوبرلى:** مرجع سابق، ص ١٧٠.

وقد أكد قوچى بك (ت ١٦٤٨م)[٣٧] على هذه الحقيقة في الفصل الذي عنونه في رسالته تحت عنوان:(في بيان أصحاب الزعامت والتيمار قديمًا، ووفرتهم وكثرتهم، وقوتهم وقدرتهم، والخدمات التي قدموها، وكيف كانوا جنودًا شرفاء ومنضبطين) فقال: "ولما كانت تلك الطائفة [يقصد الجنود من أصحاب الزعامت والتيمار] مطيعة، وموالية، وشجاعة، ومضحية بالنفس والنفيس في سبيل الدين والدولة، ولم تكن هناك حاجة قط إلى جنود الانكشارية في الغزوات والحملات. لقد كانت طائفة محبة للدولة نقية ومنضبطة ليس في زمرتها أجنبي. كانت كمعسكر ينتمي إلى السدة السلطانية أبًا عن جد، ولا يسمح بوجود أجنبي فيه[٣٨].

كما أن السجلات العثمانية توضح أن كلا من مراد الأول (١٣٦٢–١٣٨٩م) وبايزيد الأول (١٣٨٩– ١٤٠٢م) كانت لديه قوة قوامها ألف انكشاري[٣٩]، ولم يتجاوز عدد الانكشارية حتى بدايات عهد السلطان الفاتح (١٤٥١– ١٤٨١م) خمسة آلاف، ثم ازداد هذا العدد في عهد الفاتح ليبلغ عشرة آلاف، بموازاة مائة وأربعون ألفًا من الفرسان المنظمين الذين

---

(٣٧) **كوريجه لي مصطفى بك:** كان يعمل ضابطًا منذ عصر السلطان أحمد الأول حتى عصر السلطان مراد الرابع الذي عمل له مستشارًا. في عام ١٠٤١هـ/١٦٣١م قدم له رسالة حول تدبير الدولة وأمور السلطنة وهي تعد واحدة من أهم نصوص الفكر السياسي في تلك الفترة. وقد اشتهرت تلك الرسالة باسم "رسالة قوچى بك". وقد عمر هذا الرجل حتى توفى في أوائل عصر السلطان محمد الرابع. انظر، محمد ثريا: مرجع سابق، ج٤، ص٦٣.

(٣٨) **قوچى بك:** رسالة قوچى بك، ضمن نصوص من الفكر الإسلامي، ترجمة وتقديم وتعليق د. عبد الرازق بركات، دار الهداية، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٢٥.

(٣٩) **أحمد عبد الرحيم مصطفى:** في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة،ط٢، ١٩٩٩م،ص٤٣.

ساعدوا وشاركوا في فتح القسطنطينية. وقد اقتصر دور القوة الانكشـــارية على دور عسكري محدود، تستوعبه قوة الدولة السياسية والعسكرية المتأتية من جموع القوى الاجتماعية والسياسية، التي توفرها مؤسســـات المجتمـــع وقواه المختلفة[٤٠].

وقد بلغ عدد جنود الانكشارية عند وفاة السلطان ســليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠م) ثمانية آلاف جندي[٤١]، وفي أوائل عهد السلطان سليمان القـــانوني (١٥٢٠- ١٥٦٦م) اثنتا عشرة ألف جندي[٤٢]، وزاد عددهم حتى وصل إلى ستة عشر ألف انكشاري في مقابل ثمانين ألف من جنود الســـپاهية أصحاب التيمار[٤٣] في نهاية عهد القانوني[٤٤]. وفي أوائل القرن السابع عشـــر زاد عدد الانكشارية إلى سبعة وثلاثين ألف جندي، وفي نهاية ذلك القرن وصل

---

[٤٠] **حسن الضيقة:** الدولة العثمانية الثقافة والمجتمع والسلطة، دار المنتخب العربي، بيـــروت، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٩١.

[٤١] **سونيا البنا:** مرجع سابق،ص١١١.

[٤٢] **أحمد عبد الرحيم مصطفى:** مرجع سابق،ص٤٣.

[٤٣] **التيمار** : كلمة فارسية تعني الجيش والعسكر، وقد أطلق العثمانيون كلمة الســـپاهي على فئتـــين من الجند الخيالة، إحداهما الســـپاهية أصحاب التيمارات والزعامات الذين يمثلون نبالة عسكرية متميزة في الدولة العثمانية، وكانوا يقومون في مقابل بعض الموارد التي تدرها علـــيهم الأرض التي منحتها الدولة أياها للتصرف عليها بتربية وتجهيز عدد معين من الجنود الخيالة ثم مصاحبة هؤلاء الجنود عند الذهاب إلى الحرب والمشاركة فيها عند دعوة الدولة لهم. وفي القرن السادس عشر كان الســـپاهية أصحاب التيمار يشكلون الأغلبية في الجيش العثماني، لكنهم بدأوا في القرن السابع عشر يفقدون أهميتهم حتى تضاءلت أعدادهم وتردت مكانتهم كثيرًا في القرن الثامن عشر ثم أصدر السلطان عبد المجيد فرمانًا عام ١٨٤٧م أحال المتبقين مـــنهم إلـــى التقاعـــد. **صـــالح سعداوي:** مرجع سابق، ٧٠٣/٢، مادة "ســـپاهي".

[٤٤] **خليل اينالجيق:** العثمانيون النشأة والازدهار، ضمن دراسات في التاريخ العثماني، ترجمة وتقديم وتعليق د. سيد محمد السيد، دار الصحوة، القاهرة،ط١، ١٩٩٦م، ص٩٤.

العدد إلى سبعين ألف جندي. وفي أوائل القرن الثامن عشر ارتفعت أعدادهم إلى مائة ألف[٤٥]، أما في عهد السلطان محمود الثـــاني (١٨٠٨- ١٨٣٩م) فقد وصل عددهم- قبيل القضاء عليهم- إلى مائة وأربعين ألف جندي[٤٦].

وهذا يوضح بجلاء أن الانكشارية لم يكونوا يشكلون غالب الجـــيش العثماني، ولم يكونوا عبر تاريخ الدولة- كما يُعتقد- القوة الأســـاس التـــي اعتمد عليها العثمانيون لتحقيق انتصاراتهم، وإنجازاتهم، وفتوحاتهم.

أما الدافع الحقيقي لإنشاء فرقة الانكشارية؛ فقد تمثل- في رأينا- في محاولة العثمانيين لإحداث توازن مع القوى الأخرى التي كان بمقدورها أن تعوق نمو الدولة، وتعارض العثمانيين؛ فمن المعلوم أن العثمانيين الأوائل قد وجدوا في العناصر التركية البدوية والقروية- التي كانت تتدفق منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر على غرب الأناضول- كل ما يحتاجون إليـــه من الإمكانات المادية والمعنوية لفتح الأراضي البيزنطية فـــي الأناضـــول وتثبيت أقدامهم فيها[٤٧].

أي أن السبب في تأسيس أوجاق الانكشارية لم يكن يهدف إلى توفير الحاجات اللوجستية للدولة، بل كان له أسباب أيديولوجية؛ فالقـــائمون علـــى أمر الدول العثمانية في ذلك الوقت رغم أنهم وجدوا ضالتهم في المساعدات التي وفرتها تشكيلات الدراويش والأخيان لتسهيل أمر الفتوحات؛ إلاَّ أنه لـــم

---

[٤٥] **بهاء الدين يدي يلديز:** المجتمع العثماني، ضمن الدولة العثمانية تاريخ وحضارة،مرجع ســـابق، ج١، ص٥٣٩.

[٤٦] **جورجي زيدان:** تاريخ الجند العثماني منذ نشوء الدولة العثمانية إلى اليوم، مجلة الهـــلال، ج٨، السنة السابعة عشر، مايو ١٩٠٩م، ص٤٦٢.

[٤٧] **محمد فؤاد كوبرلى:** مرجع سابق، ص ١٦٧.

يَغب عن بالهم ما قامت به تلك التشكيلات من أدوار مؤثرة في كثير من أحداث تاريخ الأناضول التي وقعت في القرن الثالث عشر، واشتراكهم في الحركات المناهضة للسلاجقة، وموقفهم المعادي دائمًا للسلطة المركزية. حيث كان من دأب رؤساء الفتوَّة[٤٨] في فترات الانتقال عندما تَهُن الإدارة المركزية، وتطل الفوضى برأسها، أن يعتمدوا على تشكيلاتهم؛ فيقبضوا بأنفسهم على مقاليد الأمور في المدينة، ويعملوا على ألا تقوض أركانها بالانتقال من نظام إلى نظام[٤٩].

وعلى ذلك؛ فإن تلك التشكيلات التي اضطر العثمانيون إلى التعامل معها لطلب المساعدة في أثناء الفتوحات كانت ستصبح شوكة في خاصرة الدولة العثمانية، تهدد استقرارها بشكل دائم[٥٠] إن لم يتم التعامل معها بشكل جذري عن طريق البديل الذي تطمئن إليه الدولة وتأمن شره.

---

[٤٨] **الفتوَّة:** هو الاسم العام الذي أُطلق على التنظيمات الشبابية والمهنية والدينية والاقتصادية التي تشكلت في الأناضول في القرن الثالث عشر الميلادي واستمرت في المحافظة على الهوية الدينية للمجتمع وامتازت بأربعة أُسس رئيسية هي:

١- السماحة في وقت القوة والغلبة.
٢- الليونة في وقت العصبية والحدَّة.
٣- الإحسان إلى العدو.
٤- الإيثار على النفس.

وكان المنتسبون للمنظمات الشبابية يجتمعون على شيخ ويعيشون في تكيته حياة جماعية بما يربحونه من تجاراتهم وصناعاتهم، وقد تقلص دورهم مع فتح استانبول. انظر، **سهيل صابان:** المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخة، مراجعة د. عبد الرازق بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،٢٠٠٠م. ص ١٦٠.

[٤٩] **محمد فؤاد كوبرلى:** مرجع سابق، ص ١٤٦ – ١٤٧.

[٥٠] يتضح أن طبيعة الجماعات المشاركة في الحركات الثورية في الأناضول كانت تتألف من جماعات التركمان التي وطأت أقدامها أرض الأناضول في القرن الحادي عشر الميلادي والتي لم

لذا؛ فقد اقترح الوزير جندرلي قره خليل(٥١) على السلطان أورخان أن يقوم بأخذ مجموعة من الشبان من أسرى الحرب، وتربيتهم تربية إسلامية عثمانية، بحيث لا يعرفون لهم أبًا إلا السلطان، ولا حرفة إلا الجهاد في سبيل الله، ولا يُخشى من تحزبهم لعدم وجود أقارب لهم بين الأهالي، فأُعجب السلطان أُورخان بهذا الرأي وأمر بإنفاذه(٥٢).

ولعل تلك العبارة التي وردت في اقتباس سابق، والتي تقول: "**ولا يُخشى من تحزبهم لعدم وجود أقارب لهم بين الأهالي**" عبارة دالة، إذ إنها تشير إلى أُولى بذور الجماعة الوظيفية الكامنة في تأسيس تلك الفرقة، إذ إنه من أبرز صفات الجماعة الوظيفية- كما ذكرنا قبل ذلك- هي العزلة

تتغير نظرتها السلبية أبدًا تجاه علاقاتها مع السلطات الحاكمة. فقد كانت تلك الجماعات تنظر إلى السلطة المركزية دائمًا بالشك والريبة بينما تنظر إليها السلطة المركزية على أنها كُتل نافرة مستعدة لإثارة المشاكل، وكان الوضع على ذلك دائمًا ولاسيما في وسط الأناضول. إضافة إلى أن مستوى معيشة البدو الرُّحَّل ظل على حاله تقريبًا دون تغُّير يُذكر، وكانت السلطة المركزية العثمانية لا ترى أية علاقة بين حركات التمرد تلك وبين المصاعب الاجتماعية والاقتصادية التي تعيشها المنطقة في الغالب ومن ثم تضع لها التدابير المناسبة للتخفيف منها، ولكنها ظلت على رأيها بوجه عام في أن تلك المنطقة هي منبع الشرور، ومرتع الأشقياء، ولهذا يلزم تأديبها. انظر، **أحمد يشار أوجاق:** الحياة الدينية والفكرية في الدولة العثمانية، ضمن الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مرجع سابق، ص، ٢٠٠- ٢٠١.

(٥١) **جندرلي قره خليل:** أول من تولي منصب قضاء العسكر في عام ٧٦١هـ/١٣٥٩م، وبعدها بعدة سنوات وفي عام ٧٧٠هـ/١٣٦٨م تولى منصب الصدارة العظمى ولقب بـ" خير الدين باشا". وكان ثالث الصدور العظام في الدولة. وقد نجح قره خليل في تقديم العديد من الخدمات للدولة سواء أثناء توليه لمنصب القضاء أو عند توليه لمنصب الصدارة والذي شغله لمدة ثمانية عشر عامًا. وقد توفي وهو في طريقه مع الجيش لفتح إحدى المدن. **شمس الدين سامي:** قاموس الأعلام، مهران مطبعه سى،استانبول،١٨٩٦م،ج٣، ص٢٠٧٢.

(٥٢) **محمد فريد:** مرجع سابق، ص ٤٢.

والغربة والعجز، أي وجود مسافة بين تلك الجماعة وبين المجتمع العثماني المسلم، بحيث تجعل من تلك الفرقة تنظيمًا بلا أساس من قوة اجتماعيـــة أو قاعدة بين أفراد المجتمع، مما يجعل السلطة الحاكمة تطمـــئن إليـــه وتـــأمن شره. لذا نجد أن الدولة العثمانية قد استوسلت لتحقيق تلك الغايـــة- وهـــي إنشاء ذلك الجيش الجديد- وسيلة جديدة لم تعرفها الدول الإسلامية على هذا النحو قبل ذلك(٥٣). وكان قوام هذه الطريقة الاستفادة من أسرى الحرب من غير المسلمين بموجب قانون عُرف "**پنجيك قـــانوني**" أي قـــانون الخُمـــس، والذي ينص على أن تحصل الدولة على خُمـــس أســـرى الحـــرب مقابـــل الضريبة المستحقة عليهم(٥٤).

ويبدو أن السلطة الحاكمة حينذاك قد وجدت في هذا النظـــام ميـــزة كبرى، فالشبان الذين يُجندون كانوا يفقدون- بمقتضى تـــربيتهم واعتنـــاقهم الإسلام- روابطهم الأصلية، كما لم يكن بوسعهم اكتساب روابط جديدة؛ لأنه

---

(٥٣) عرف السلاجقة نظامًا يشبه ذلك النظام ولكن مع فارق كبير وهو أن أعضاء هذا النظام كانوا من الأتراك المسلمين، ذلك أن السلاجقة عرفوا ما يسمى بنظام الغلام Gulam Sistemi. وكان ذلـــك النظام يقوم على تربية أطفال التركمان المسلمين على ركوب الخيل، واستخدام الســـلاح، وآداب خدمة السلطان وذلك بتولى الخدمة في القصر والتواجد بشكل دائم بجانب السلطان. وكان يتـــولى تعليم وتربية هؤلاء الغلمان معلمون يسمى الواحد منهم بابا. وكان الواحد منهم الذي يُظهر نبوغًا بعد أن يتلقى تعليمًا وتدريبًا لمدة ثمانية عشر أو عشرين عامًا يترقى في الدرجات حتى يصل إلى رتبة أمير. وكان هؤلاء الغلمان الذين تلقوا هذا التعليم والتدريب يشكلون جيشاً خاصًّا بالســـلطان يتواجد بجانب السلطان أو الحاكم في إمارات الأناضول بشكل دائم. وكانت وظيفة ذلـــك الجـــيش هي الحرب فقط، وكان يُحرَّم عليهم الاشتغال بالتجارة والصناعة والزراعة. انظر،
Aydın Taneri: Osmanlı Devletinin Kuruluş Döneminde Hükümdarlık Kurumunun Gelişmesi ve Saray Hayatı-Teşkilatı, Milli Eğitim Bakanlığı yayınları, ist., 2003, s. 61. Ve **Mehmet Zeki Pakalın** : Osmanlı Tarih Deyimler ve Terimleri Sözlüğü, Milli Eğitim Basımevi, ist., 1983, 1 cilt, S. 679.

(٥٤) **عبد القادر أوزجان:** مرجع سابق، ص ٣٨٢.

لم يكن يؤذن لهم بالزواج ما داموا جنودًا، وبذلك تنمو روح الجماعة المهنية مع ولائهم لعرش السلطان[٥٥].

ومع تأسيس الانكشارية- ذلك الفصيل المقاتـــل- أصـــبح للســـلطة العثمانية جيش من المماليك يدين للسلطان بالإخلاص والولاء المطلق؛ ممـــا يجعله يضمن لنفسه السلطة المطلقة[٥٦]. وأصبح بمقدور السلطان من خلال ذلك الفصيل مواجهة ما قد ينشأ من تمردات وفتن إذ أغرت الظروف أحـــدًا في الداخل على القيام بها. فطائفة مثل طائفة الغزاة علـــى حـــدود الدولـــة العثمانية كانت تتشكل في الأساس من أناس ليس لهم في الغالـــب أرضٍ ولا مهنة يقتاتون بمزاولتها، ومضطرون بحكم الضرورة الاقتصـــادية إلـــى أن يبحثوا في ظل الحروب والفتن الداخلية التي لم تكن تخمـــد فـــي العصـــور الوسطى[٥٧].

وفي عهد الأمير مراد الأول- الذي تولى مقاليد الأمور في الإمـــارة العثمانية بعد وفاة والده الأمير أورخان- تم استكمال هيكلة ذلـــك الجـــيش الجديد، إذ أصبح ذلك الجيش يعمل تحت قيادة الأمير مراد، وأصبح يُعرف بـــ"**القابوقولية**"، أي عبيد الباب، بسبب ارتباطه بشخص الحاكم. وكان ذلك الجيش يحصل على رواتبه من خزينة الدولة، وقد سُمِّي أيضًا باسم "**درگـــاه عالى قوللرى**" أي عبيد الباب العالي[٥٨]. وقد أراد السلطان مـــراد الأول أن

---

(٥٥) **علاء موسى كاظم نورس:** مدى مسئولية الانكشارية في تدهور الجـــيش، مجلـــة كليـــة الآداب العراقية، العدد الثلاثون،١٩٨١م، ص١٠٩.

(٥٦) **خليل اينالجيق:** تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرنـــاؤوط، دار المدار الإسلامي، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١٢٢.

(٥٧) **محمد فؤاد كوبرلى:** مرجع سابق، ص ١٣٨.

(58) **Bkz. M. Z. Pakalın**: a. g. e., 3 cilt, S 617. Ve

ينظم أوجاق الانكشارية بحيث يكون هذا الأوجاق أوجاقًا عسكريًا لخدمة نفسه ويكون حرسًا خاصًّا به(٥٩). أي أن الهدف من إنشاء الانكشارية كان توفير خدم مخلصين للسلطان يعتمد مستقبلهم عليه دون سواه(٦٠).

وكانت عملية تزويد ذلك الأوجاق بالأفراد تتم على ثلاث مراحل: **الأولى** بأخذ أسرى الحرب طبقًا لقانون الخمس "البنجيك"، **والثانية** يتم فيها تسليم هؤلاء الأسرى لعائلات تركية مسلمة ليتعلموا اللغة التركية والتقاليد التركية والإسلامية، وبعد أن يمكثوا معهم لفترة يؤخذون للأوجاق، أما **الثالثة** فكان يتم فيها نقلهم من تلك العائلات التركية إلى أوجاق العجمية(٦١) وبعد أن يجري تدريبهم هناك يتحولون إلى أوجاق الانكشارية(٦٢).

وقد استطاع الأمير مراد الأول من خلال ذلك الجيش الذي كان يحيط به دائمًا(٦٣) أن يكسب نفوذًا عسكريًّا وسياسيًّا عظيمًا، حيث بدى

خليل اينالجيق: العثمانيون النشأة والازدهار، مرجع سابق، ص٥١.

(٥٩) **أماني إبراهيم:** مرجع سابق، ص ٥٧.

(٦٠) **نيقولا ڤاتان:** صعود العثمانيين (١٣٦٢-١٤٥١م)، ضمن تاريخ الدولة العثمانية،مرجع سابق، ص ٧٣.

(٦١) **العجمي اوغلان أو أوجاق العجمية:** هو الاسم الذي أطلق على الأطفال الذي تم جمعهم من المسيحيين من الأرمن والبلغار والروم اليونان والألبان والبوشناق، وإن ظل أهل البوسنة الهرسك يتمتعون بحق دخول الأوجاق حتى بعد دخولهم الإسلام تنفيذًا للامتياز الذي منحه لهم السلطان محمد الفاتح. وكان يتم جمع هؤلاء الأطفال حسب أصول الدوشيرمة أو من الأسرى لتوظيفهم في فرقة الانكشارية، وكانت أعمارهم تتراوح ما بين خمسة عشر وعشرين عامًا وقد بدأ تشكيل أوجاق العجمية في عهد السلطان مراد الأول. انظر،

Bkz. M. Z. Pakalın: a. g. e., 1 cilt, S 7-9.

(62) **Hezârfen Hüseyin Efendi :** Telhîsü'l-Beyân Fî Kavânîn-i Âl-i Osmân, hazırlayan Dr. Sevim İlgürel, T. T. K. Basımevi, Ankara, 1998. S. 144.

(٦٣) كان الانكشارية يذهبون مع السلطان عند ذهابه إلى الحرب ولايتخلف منهم أحد، أما إذا لم يذهب السلطان إلى الحرب فإن اشتراك الانكشارية في تلك الحرب يكون عن طريق إرسال أحد القادة

كصاحب قوة مركزية قادرة على مواجهة منافسيه في الداخل كأمراء الحدود الآخرين، والأمراء العصاة من أسرة آل عثمان نفسها. وذلك في حين كانت الإمارات الأناضولية الأخرى تعتمد في تشكيل جيوشها على القوات الإقطاعية التي كان يجلبها أمراء العشائر أو الأسر المحلية القائمة من المسلمين دون غيرهم(٦٤).

وقد أدى ظهور الانكشارية- ذلك الجيش الحاكم الشخصي النظامي- إلى نشوء قوة مستقلة عن التراكيب القبلية القادرة على دعم العرش، وترسيخ سلطته المستقلة، وأصبح لدى السلطان أداة عسكرية اجتماعية إضافية لتوطيد سلطته العليا(٦٥).

وقد ساعدت تلك القوى الجديدة المتمثلة في الانكشارية، السلطان بايزيد الأول (١٣٨٩- ١٤٠٢م) الذي تولى أمور الدولة العثمانية عقب وفاة مراد الأول، على تطبيق سياسته الجديدة الهادفة إلى إقامة دولة مركزية قوية تدار من مركز واحد، وذلك عن طريق أخذ الأراضي من أمراء الإقطاع الأناضوليين، وجعل الإمارات القديمة سناجق عثمانية، يتولى إدارتها عمال يجري تعيينهم من العاصمة"(٦٦).

مع عدد من الانكشارية بالقدر الذي تحتاجه الحرب. وكان هؤلاء الجنود يلبسون غطاء للرأس من اللباد الأبيض يسمى "بورك" لتمييزهم عن الأتراك المسلمين في المناطق الحدودية.انظر،
İ. Hakkı Uzunçarşılı: a. g. e., S. 511-512.

(٦٤) **خليل اينالجيق:** العثمانيون النشأة والازدهار، مرجع سابق، ص ٥١.

(٦٥) **إيرينا بتروسيان:** الانكشاريون في الامبراطورية العثمانية، تقديم ومراجعة قسم الدراسات والنشر بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ٢٠٠٦م، ص ١٧.

(٦٦) **فريدون آمجن:** التاريخ السياسي للدولة العثمانية، ضمن الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مرجع سابق، ص ١٨.

"وقد حاول السلطان بايزيد الأول وضع اللبنة الأساسية لإدارة دولة مركزية تركية إسلامية، فقام بتسجيل الأراضي والعقارات، ووضع نظاماً ضريبياً، وطبق القواعد المالية التي كانت جارية لدي الإيلخانيين، وسعي لإدارة الدولة من خلال جهاز مركزي مباشر، ووضع تحت سيطرته الأسر المحلية القوية، والأمراء التركمان، وأمراء الحدود، مما أرسي أسس دولة مركزية قوية"(٦٧).

وعلى هذا؛ فقد تأكد الملمح الثاني للانكشارية كجماعة وظيفية، وهو التعاقدية؛ تلك العلاقة التي ربطت بين السلطة العثمانية الناشئة وبين ذلك الفصيل المقاتل المتمثل في الانكشارية، بحسبانه وسيلة لتنفيذ أهداف تلك السلطة دون النظر لأي اعتبار آخر.

وقد تأكد ذلك الأمر بشكل جلي عقب وفاة السلطان بايزيد الأول ودخول الدولة في فترة تنازع بين أبناء السلطان على العرش استمرت أحد عشر عامًا، وذلك عندما نجح السلطان محمد الأول (١٤١٣-١٤٢١م) أن يستجمع قوى الدولة، ويعيد من جديد تشكيل بنائها المركزي، وإعادة ما فقدته الدولة عقب هزيمة أنقرة التي تعرضت لها الدولة العثمانية في عام ١٤٠٢م على يد تيمورلنك المغولي(٦٨).

ذلك أنه توفرت في فترة الانقطاع تلك عدة عوامل إيجابية عملت لصالح الوحدة العثمانية والإدارة المركزية، وكانت فرقة الانكشارية- التي

---

(٦٧) **فريدون آمجن:** مرجع سابق، ص ١٩.

(68)**Aydın Taneri**: a. g. e. S. 145.

وصل عدد أفرادها إلى حوالي ستة آلاف جندي- من أقوى هذه العوامل؛ حيث أنها باتت توفر للسلطان العثماني تفوقًا مهمًّا في وجه منافسيه(٦٩).

ولكن عهد السلطان محمد الأول شهد توترًا في العلاقة وزعزعة للروابط بين السلطة المركزية الحاكمة في الدولة العثمانية وبين السكان الأصليين من الأتراك المسلمين، بسبب حركة التمرد التي قام بها الشيخ بدر الدين(٧٠). ولعل ذلك قد زاد من اعتماد السلطة المركزية في الدولة العثمانية على قوات الانكشارية- كجماعة وظيفية في ظل العلاقة التعاقدية بينهما- في القضاء على تلك الحركة التي نشأت نتيجة الصراع على النفوذ السياسي بين إمارات التركمان الأناضولية، التي استردت استقلالها بفضل الصراع بين تيمورلنك وبين الدولة العثمانية، وحالة فراغ السلطة الذي حدث بعد

---

(٦٩) **خليل إينالجيق:** تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٧٠) **الشيخ بدر الدين بن قاضي سماونه: (١٣٦٨ــ١٤٢٠م)** ولد في قلعة سماونه من بلاد الروم حينما كان أبوه قاضياً بها في عهد السلطان مراد الأول. حَفظ القرآن الكريم وأخذ العلم في صباه عن والده المذكور ثم ارتحل إلى الديار المصرية، وقرأ هناك على المولي مباركشاه المنطقي المدرس بالقاهرة، ثم أدركته الجذبة الإلهية والتجأ إلي كنف الشيخ سيد حسين الأخلاطي الساكن بمصر وقتئذ، ثم أرسله الشيخ الأخلاطي إلى بلدة تبريز للإرشاد، ثم جاء إلى حلب ثم قونيه. وعندما أعلن موسى نفسه سلطاناً عين الشيخ بدر الدين قاضياً للعسكر، وعندما قُتل موسى چلبي تم حبس الشيخ مع أهله وعياله ببلدة إزنيق، وأخيرًا تم إعدامه عام ١٤١٦م بسبب التمرد الذي قام به بوركلجه مصطفى وطورلاق هوكمال. ومن مؤلفاته كتاب "جامع الفصولين"، وكتاب "لطائف الإشارات" في الفقه، وكتاب " الواردات" في التصوف وهو أشهر كتاب له، وفي هذا الكتاب كان الشيخ بدر الدين يقول بِقدَم العالم وعدم خلقه، ويرفض يوم الحشر، ويقول بعدم إمكانية إحياء الأجسام بعد الموت، وينكر وجود الجنة والنار بالصورة التي أخبر عنها القرآن ويعتبرهما السعادة التي تشعر بها الأرواح في الحياة الدنيا. انظر، **طاشكوبرى زاده:** الشقائق النعمانية، تحقيق د. أحمد صبحي الفرات، منشورات كلية الآداب، جامعة استانبول، ١٩٨٥م، ص٥٠، ٥١. و

İsmail Hakkı Uzunçarşılı: a. g. e., S. 366. 367.

هزيمة أنقرة ١٤٠٢م وأسر السلطان بايزيد الأول، ثم تأييد السباهية أصحاب التيمارات الذين حرموا من تيماراتهم(٧١).

وقد استتبع نجاح قوات الانكشارية في دعم السلطة العثمانية الشرعية الحاكمة الممثلة في السلطان محمد الأول، والقضاء على تمرد الشيخ بدر الدين، الانتقال من نظام الپنجيك إلى نظام آخر أكثر تطورًا، هو نظام الدوشيرمة الذي يعني الجمع والالتقاط(٧٢). ذلك أنه عقب معركة أنقرة وتوقف حركة الفتح شعرت الدولة بضرورة البحث عن مصدر جديد لامداد أوجاق الانكشارية بالعناصر المسيحية اللازمة له؛ فكان نظام الدوشيرمه، الذي جرى تطبيقه على أيام السلطان محمد الأول، وإن كان إقراره وتقنينه لم يبدأ إلا في عهد السلطان مراد الثاني (١٤٢١- ١٤٥١م)(٧٣).

وتبعًا لهذا النظام، كان يتم انتقاء من يصلح من أطفال الرعايا المسيحيين من عائلاتهم في الرومللي وليس من أسرى الحروب كما كان الحال في نظام الپنجيك، وبعد تدريب معين يجرى تجنيدهم ضمن قوات الانكشارية(٧٤).

واستمرت الانكشارية في بداية عهد السلطان مراد الثاني كجماعة وظيفية- ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالسلطة الحاكمة- في أداء دورها المنوط بها بالأساس، والمتمثل في مواجهة حركات المعارضة والخروج على السلطة الشرعية الممثلة في السلطان العثماني. ونجحت في أداء ذلك الدور على

(٧١) انظر، **أحمد يشار أوجاق:** مرجع سابق، ص ١٩٠- ١٩١.

(٧٢) **بهاء الدين يديي يلديز:** مرجع سابق، ص ٥٣٦.

(٧٣) **عبد القادر أوزجان:** مرجع سابق، ص ٣٨٢.

(74) **İsmail Hakkı Uzunçarşılı:** a. g. e., S. 509.

الوجه الأكمل كما حدث مع الأمير مصطفى[٧٥] عم السلطان مراد الثاني، حيث كانت تلك القوات العامل الأهم في حسم ذلك الصراع لصالح السلطة الحاكمة الشرعية الممثلة في السلطان مراد الثاني[٧٦].

ولكن في نهاية عهد مراد الثاني حدث تطور لافت للنظر، تمثل في ظهور أول تمرد للانكشارية كجماعة وظيفية على السلطة الحاكمة التي نشأت في الأساس للمحافظة عليها وحمايتها، ذلك التمرد الذي ستكون له تداعيات سلبية جد خطيرة على مستقبل الدولة العثمانية، عندما تضعف تلك السلطة المركزية وترتخي قبضتها على مفاصل الدولة المختلفة.

فالانكشارية كجماعة وظيفية كانت وظيفتها حماية السلطة القائمة في الحكم أيًّا كانت تلك السلطة، ولم يكن يدخل في تكوينها من الأساس رسم سياسات تلك السلطة. ولكن لأن الحركية كانت إحدى الصفات الأبرز لفرقة الانكشارية كجماعة وظيفية، وهي تعني عدم ارتباط الإنسان داخلها بأية منظومة قيمة؛ فهو يخضع كل شيء لرغبته ومصلحته الذاتية، وذلك ما جعل الانكشارية في عام ١٤٤٥م تتمرد على السلطان محمد الثاني [الفاتح] صغير السن، عقب رجوع السلطان مراد الثاني وتنازله عن العرش عقب

---

[٧٥] كان الأمير مصطفى ابنًا للسلطان بايزيد الأول حارب أخاه السلطان محمد الأول في صراع الأخوة على الذي بدأ عقب معركة أنقرة وأسر والده السلطان بايزيد الأول. وعندما هُزم الأمير مصطفى أمام أخاه السلطان محمد الأول فر إلى مدينة سلانيك واحتمى عند حاكمها المعين من قبل ملك الروم. وظل عنده حتى عهد السلطان مراد الثاني ليمثل ورقة ضغط في يد الدولة البيزنطية تهدد بها الدولة العثمانية وهذا ما حدث إذ تم إطلاق سراحه مع بعض من الجنود لمحاربة السلطان مراد الثاني وانتهى هذا الصراع بانتصار السلطان مراد الثاني وإعدام الأمير مصطفى شنقًا.انظر، **محمد فريد:** مرجع سابق، ص ٥٤.

[٧٦] **خليل إينالجيق:** تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، مرجع سابق، ص ٣٣.

انتصاره في معركة وارنا ١٤٤٠م، وتقوم بنهب مدينة أدرنه؛ مما أجبر السلطان مراد الثاني على العودة من جديد لإخماد فتنتهم، وخوفًا من رجوعهم إلى إقلاق راحة الدولة أراد أن يشغلهم بالحرب؛ فأغار على بلاد اليونان(٧٧).

وكانت تلك الإشارة لافتة لتدخل الانكشارية في السياسة من أجل إحداث تغيرات في السلطة السياسية، عن طريق إجراء الكثير من التمردات ضد السلطة الشرعية الممثلة في السلطان العثماني. وأضحت الفترة التالية لعهد السلطان مراد الثاني تشكل مرحلة شد وجذب بين السلطة المركزية والانكشارية كجماعة وظيفية، يحاول كل طرف فيها فرض سيطرته على الطرف الآخر.

لذا؛ نجد أن السلطان محمد الفاتح عقب توليه السلطة أحدث نقلة نوعية في الدولة، وذلك عندما أقدم على بناء مؤسسات خاصة بالقصر- كمؤسسة الأندرون(٧٨) على سبيل المثال- لتعمل على توفير ما تحتاجه

---

(٧٧) **محمد فريد:** مرجع سابق، ص ٥٧.

(٧٨) كانت الدروس التي تدرس في مدرسة الأندرون تشمل معظم الدروس التي كانت تدرس في المدارس بشكل عام وإن كانت تختلف عنها في أمور أربعة هي:

الأول كانت هناك دروس تُعطي في اللغة التركية.

والثاني أن الدروس كانت تشتمل على موضوعات عسكرية وإدارية، وكانت هناك دروس تشمل موضوعات خاصة بالجغرافيا، وعمل الخرائط، والتاريخ، والسياسة، وفن الحرب.

والثالث كانت هناك دروس خاصة بالخط، والتجليد، والتذهيب، والحفر، وعمل الرسومات الصغيرة، والعمارة، والفنون الجميلة.

والرابع دروس تشمل تَعلم الموسيقي، وإعداد العازفين والموسيقيين.

وكان هذا التعليم يتم في كل هذه المجالات الواسعة عن طريق اتباع برنامج مدني يتم فيه تقسيم الطلاب إلى فروع وأقسام مختلفة تبعاً لاستعداد كل طالب. فكانت هناك دروس لتعليم الطلاب

الدولة من كفاءات بشرية تتولى وظائف الدولة المدنية إلى جانب دورها العسكري الثابت، معبرًا بهذه السياسة عن اتجاه جديد للسلطة يهدف إلى بناء قوتها الذاتية المستقلة عن مدار الاجتماع السياسي العام(٧٩).

وكان السلطان الفاتح يهدف من خلال ذلك الإجراء إلى تحرير نفوذه في الدولة من ضغوط مراكز القوى فيها، حيث وضع كافة مؤسسات الدولة تحت سيطرته المباشرة. إذ أن مصدر السلطة- أية سلطة تتحكم في دولة ما- تنقسم إلى قسمين:

الأول: هو القوة التي يعطيها القانون أو التشريع المكتوب أو غير المكتوب لصاحب السلطة، ومصدر هذه القوة ومنبعها هي القوانين والأعراف، وهذه هي المصادر النظرية للسلطة. أما القسم **الثاني:** فهو العناصر التي تنتجها الظروف الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وتلك القوى يمكن أن تتبدى في قوى مثل الرأي العام، والطرق الصوفية، وتأثير العلماء والجيش كعنصر ضاغط. وهذه القوى يمكن أن تُعطي ثقة لسياسة آليات القصر والحكومة والجيش والعدالة، ومن خلالها تتشكل سياسة الدولة، وهذه القوى يمكن أن نطلق عليها مصادر السلطة العملية(٨٠).

القراءة والكتابة باللغة التركية واللغة العربية، والقرآن الدروس الدينية، فضلاً عن أنه كان يتم تعليم هؤلاء الطلاب ركوب الخيل، والرماية، والقيام بالتمارين المستمرة للقيام بإعدادهم بدنياً. وكان هذا التعليم الإلزامي يستمر من ٧ – ٨ أعوام، ثم بعد ذلك ينتقل الطالب إلي مرحلة التخصص، حيث يبلغ مجموع سنوات التعليم ١٢- ١٤ عاماً. وعلى ذلك فقد كان مكتب الأندرون يُعد مؤسسة تعليمية ذات مستوي مرتفع، تقدم تعليمها ضمن برنامج واضح من أجل هدف واضح، وتقوم بمهام محددة في داخل نظام التعليم العام للدولة. انظر،

İlhan Tekeli : Osmanlı imparatorluğu'nda Eğitim ve Bilgi Üretim Sisteminin Oluşumu ve Dönüşümü, T. T. K., Ankara, 1993.S19-20.

(٧٩) **حسن الضيقة:** مرجع سابق، ص ٩١.

(80)**Aydın Taneri**: a. g. e. S. 139.

وقد أحدثت سياسات السلطان محمد الفاتح تعديلات أساسية في بنيـــة السلطة وتوازناتها المختلفة؛ كان من نتائجها تحول كيفي في وضعية مراكز السلطة، إن لجهة ثقل كل منها، أو لجهة طبيعة العلاقات القائمة فيما بينهـــا. أضف إلى ذلك ما أدت إليه هذه السياسات من نشوء مراكز قوى جديدة لـــم يكن لها وجود في المرحلة السابقة من نشأة الدولة، تعمق اتجـــاه اســـتقلالية السلطة عن مدار الاجتماع السياسي العام، وذلك عن طريق تـــوفير قـــوى ذاتية تسمح بتعاظم مركز السلطان، وتحرير فاعليته من العديد مـــن القيـــود والضوابط التي كانت تفرضها البنية السابقة لمجال السلطة[٨١].

وبهذا الشكل أكمل السلطان محمد الفـــاتح سلســـلة حلقـــات التفـــرد بالسلطة، والقضاء على كافة أشكال المعارضة التي من الممكن أن تســـببها تلك المجموعات تحت دعاوى أنها ساهمت في إنشاء الدولة، وذلك بالاعتماد على العناصر التي نشأت بدعم من السلطة الحاكمة، ومارست دورها ضمن منظومة تلك السلطة.

وكانت أولى تلك الحلقات قد بدأت في عهد الســـلطان بايزيـــد الأول عندما شهدت الدولة العثمانية- التي كانت دولة مسلمة ســـنية مـــن ناحيـــة أسسها العقائدية والإدارية- تغيراً هاماً، حيث سلكت الدولة نهجاً يشكل بنيتها السياسية والإدارية تحت قيادة العلماء، بديلاً عن التوجه الفكري للدولة الذي كان يقوم على تفسير الإسلام ذي الشخصية الصوفية لأبدال الروم المنتسبين إلى الطريقة القلندرية[٨٢]. ولكن الدولة حرصت في نفس الوقت علي إظهار

---

[٨١] **حسن الضيقة:** مرجع سابق، ص ٧٥.

[٨٢] **القلندريـــة:** تيار صوفي أصوله في المذهب الملامتي في خراسان، كان أول ظهورها في إيران ووسط آسيا في القرن العاشر للميلاد. أسسها الصوفي الإيراني جمال الدين ســـاوي (ت١٢٣٣م)

التسامح تجاه هذا التوجه للإسلام ذي الشخصية الصوفية، أو إسلام التكايا(٨٣)، بما لا يناقض السياسة الأساسية للدولة، ويسبب الضرر للنظام العام."(٨٤)

أحد ملامتية خراسان. انتقل دروايش القلندرية إلى الأناضول أفواجًا فرارًا من الغزو المغولي. كان اتباع هذه الطريقة يهيمون شاردين في البلاد مضربين عن الزواج لا يتورعون عن شرب الخمر، وارتكاب المآثم والكبائر، ولا يرعون أوامر الشرع ونواهيه. كما أنهم اشتهروا بحلق رؤوسهم ولحاهم وشواربهم. وهم في مسلكهم هذا متأثرين بالأديان غير السماوية مثل الشامانية والزرادشتية. انظر، **بديعة عبد العال:** الفكر الباطني في الأناضول، الدار الثقافية للنشر،القاهرة،٢٠١٠م، ص١٥-١٨.

(٨٣) لقد كانت التكايا مكانًا للتعليم والتربية الدينية الصوفية، وكانت أيضاً في نفس الوقت مكاناً لمعايشة تلك التعاليم، وقد ساعدت التكايا علي تثقيف الشعب، ونشر الإسلام حتى أبعد القرى. وبالنظر إلي الجهود والتي كانت تقوم بها التكايا نجد أنها كانت لها علاقة وطيدة مع الشعب، ولم تكن مكاناً للانزواء وقطع الروابط مع الدنيا كما يعتقد البعض؛ بل كانت مكاناً يرتبط بأوثق الأربطة مع الشعب، ويتفاعل معه في محاولة لتعليمه وتثقيفه، ويلعب الدور الأكبر في تشكيل عقله ووجدانه. وفي التكية كانت هناك لها ثلاث طرق للتعليم هي: الشفهية، والكتابية، والتطبيقية. أما الطريقة الشفهية فكان يتم التعليم بها عن طريق المواعظ والنصائح التي يقدمها الشيوخ لمنسوبي التكية، أو عامة أفراد الشعب. وكان يتم تلقين الدراويش مفاهيم وآداب الطريقة التي تنتسب إليها تلك التكية. ولقد كانت المواعظ في التكايا أكثر قبولاً لدي الشعب من المواعظ المدرسية نظراً لقربها من مفاهيم الشعب. والطريقة الكتابية كانت عبارة عن الرسائل المكتوبة من طرف شيوخ التكية، وكانت تلك الرسائل أو الكتب تنقسم إلى قسمين: أحدهما المكتوب لدراويش التكية، والآخر المكتوب للشعب. وفي النوع الأول كان يتم تعليم الدراويش آداب وأركان الطريقة، وموضوعات التصوف المختلفة، ومناقب ومآثر بعض شيوخ التصوف الكبار، أما الرسائل الخاصة بالشعب فهي مؤلفات تتناول الموضوعات الدينية والأخلاقية، وتشرحها بتفسير صوفي، وكانت هذه الرسائل أما منثورة أو منظومة، وكانت ملائمة أكثر لروح وثقافة الشعب. وذلك يؤكد أن التكايا قد اضطلعت بدور لا ستهان به في مجال التربية والتعليم. انظر،

Yaşar Ocak : Selçuk ve Osmanlı Dönemi Takkelerinde Dini Tasavuf Eğitime Genel Bakış, Türkiye Birinci Din Eğitimi Semineri, İlahiyat Vakfı yayınları.Ankara 1981. S., 76- 78.

ثم خطت الدولة خطوة أخرى في عهد السلطان مراد الثاني، وذلك عندما قام السلطان بتأسيس مشيخة الإسلام في عصره لتكون بديلاً عن المشروعية التي كانت تقدمها التكايا للدولة. تلك التكايا التي استفاد منها العثمانيون في دعم مشروعية وجودهم حينما بدأوا في الانفصال عن الدولة السلجوقية، ولكن مع الوقت وبعد أن نمت الدولة وقويت شوكتها تحول قسم من تلك التكايا إلى جماعات معارضة وحدث اختلاف سياسي مع الإدارة الحاكمة، لذا قامت الدولة بإنشاء مؤسسة مشيخة الإسلام(٨٥).

ثم جاء السلطان محمد الفاتح ليكمل ويتم تلك الحلقات، وكان ذلك عن طريق إنشاء الأندرون الذي كان يعد بمثابة مؤسسة القصر التعليمية الموجهة لتربية وإعداد كوادر الإدارة(٨٦). حتى أن منصب الصدر الأعظم أصبح حكرًا على رجال الدوشيرمة الذين تربوا في الأندرون(٨٧). وأصبح من النادر أن يتولى منصب الصدارة العظمى وزير من خريجي المدارس العثمانية التقليدية(٨٨). وكان لمنصب الصدر الأعظم أهمية كبيرة في الدولة، حتى أن صلاحية تعيين وعزل شيخ الإسلام قد أسندت إليه، مما دل على تفوق السلطة السياسية في الدولة العثمانية الممثلة في الصدر الأعظم على

---

(84) **Hayreddin Karaman** : Osmanlı Hukukunda Mezhep Tercihi; Osmanlı, Editör: Güler Eren, yeni Türkiye yayınları, Ankara, 1999 , 8cilt, S. 187

(85) **İlhan Tekeli :** a.g.e., s. 8.

(86) **Ekmeleddin İhsanoğlu** : Tanzimat Öncesi ve Tanzimat Dönemi , Osmanlı Bilim ve Egitim Anlayış, 150 yılında Tanzimat, TTk yayınları, Ankara, 1992, S. 259.

(٨٧) كان كل الصدور العظام حتى عصر محمد الفاتح وعددهم أحد عشر من أصول تركية من المسلمين الأحرار، ومن أبرزهم أفراد أسرة چندرلي، وتولى واحدًا فقط من طائفة السباهية. أما بعد الفاتح فقد تولي هذا المنصب كثير من الدوشيرمه من ذوي الأصول المسيحية الذين تربوا في مدرسة الاندرون. **انظر، ليلي عبد اللطيف:** الإدارة في مصر في العهد العثماني، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٧٨م، ص ٦.

(88) **Mehmet Ali Ünal** : Osmanlı Müesseseleri Tarihi, İsparta, 1997, s. 42.

السلطة العلمية الممثلة في شيخ الإسلام، ولإحداث توازن بين المنصبين؛ فإنه كانت تؤخذ فتوى من شيخ الإسلام عند عزل الصدر الأعظم(٨٩).

وهكذا استطاع الفاتح عن طريق مؤسسة الأندرون أن يحدث تعديلاً في بنية مراكز السلطة وثقلها، وذلك لصالح مركز السلطان على حساب مراكز القوى الأخرى(٩٠). فالسلطان الفاتح عندما تولى السلطة قام باتخاذ تدابير من شأنها تقوية بنية الدولة المركزية، وذلك بزيادة أعداد الانكشارية المرتبطين بالسلطان مباشرة، والمستعدين للخدمة في كل وقت، وأدخل قسماً هاماً من أراضي الوقف- والتي كانت تشكل مصدر معيشة وقوة للزمرة الدينية والاجتماعية- في نظام التيمار، وزادت صلاحيات مؤسسة الصدارة العظمي، وتحول الشخص الموجود على رأسها إلى وكيل مطلق للسلطان، فضلاً عن ربطه في داخل نظام هرمي واضح للعلماء وأركان الدولة الآخرين. وفي النهاية أعطي السلطان ثقلاً أكثر لنظام الدوشيرمه وأصبح رجال الدولة الذين تربوا في داخل هذا النظام في المقدمة، وهكذا أصبحت الدوشيرمه عامل توازن أمام قوة ونفوذ الارستقراطية المحلية التي كانت تواجه السلطة المركزية(٩١).

ومن ثمَّ؛ يمكن القول أن الدولة العثمانية في تلك المرحلة التي امتدت حتى عهد الفاتح قد نجحت في استبدال القوى التقليدية الفاعلة التي ساعدت السلطة العثمانية عند نشأتها- كجماعات التركمان والأخيان- بقوى جديدة

---

(89) **Şükrü Karatepe**: Osmanlı lar'da Devlet yönetimi, Osmanlı Ansiklopedisi'de, İz yayıncılık,ist;1996, s. 42.

(٩٠) **حسن الضيقة:** مرجع سابق، ص ٩٨.

(91) **Fahri Unan:** Kuruluşundan Günümüze Fâtih Külliyesi, T. T. K. Ankara, 2003. s. 21.

ترتبط بالقصر ارتباطًا عضويًّا، كخريجي مؤسسة الأندرون، وخريجي المدارس العثمانية، والجماعات الوظيفية كالانكشارية.

وقد أدى هذا التحول إلى أن تصبح السلطة الشرعية- الممثلة في السلطان العثماني- وحيدة في مواجهة تلك القوة التي تمتلك السلاح في عملية مستمرة لاستعراض القوة في محاولة منها للحصول على رقعة أكبر من حيث السلطة، ومقاومة من القوة الشرعية الممثلة في السلطان العثماني. وكانت تلك العملية تخرج عن إطارها السياسي في بعض الأحيان لتتحول إلى صراعٍ دامٍ على شكل تمردات تقوم بها فرقة الانكشارية لقتل السلطان نفسه.

وقبل أن نختم هذا المبحث، يلزم علينا أن نتعرض بالبحث لأمر نحسبه كاشفًا في توضيح وضع الانكشارية كجماعة وظيفية في الدولة العثمانية، ذلك الأمر هو علاقة الانكشارية العضوية بالطريقة البكتاشية، التي امتدت منذ تأسيس فرقة الانكشارية وحتى إلغائها في القرن التاسع عشر.

علاقة الانكشارية كجماعة وظيفية بالطريقة البكتاشية:

ترجع الأهمية السياسية التي اكتسبتها الطريقة البكتاشية إلى ارتباطها الوثيق بفرقة الانكشارية الذين كانوا ينظرون إلى شيوخ الطريقة على أنهم بمنزلة أئمة لهم(٩٢). وأصبح الإخلاص في الانتماء إلى الحاج بكتاش، من حيث الطريقة مع القيام بفروض الإسلام، أحد أهم قوانين الانكشارية(٩٣).

وهذا الارتباط بين الانكشارية وبين الطريقة البكتاشية يُعد أمرًا لافتًا للنظر، إذ إن هذه الطريقة كانت حركة صوفية باطنية تلفيقية، احتوت على كثير جدًّا من أفكار الهرطقة التي تشكلت من خليط من معتقدات الحروفية والحلول والتناسخ والتشيع والإمامية والشامانية والبابائية وحتى التثليث من العقائد المسيحية(٩٤). وكانت الطريقة البكتاشية منذ نشأتها طريقة من طرق الهرطقة، ومع أنها كانت موجودة في القرن الرابع عشر فإنها لم تكن الأكبر أهمية بين سائر الطرق الإلحادية الأخرى، وإنما بلغت البكتاشية أهميتها فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر بعد أن تمثلت زمر الهراطقة الأخرى(٩٥).

ورغم هذا الانحراف العقائدي الذي تمثله الطريقة البكتاشية، إلا أن الانكشارية لم تجد غير هذه الطريقة لترتبط بها من بين سائر الطرق الصوفية الأخرى التي كانت منتشرة في ذلك الوقت. وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أن الانكشارية كانت جماعة وظيفية منبتة الصلات بالمجتمع

---

(٩٢) **عبد العزيز الشناوي:** الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م، ج١، ص ٤٨٠-٤٨١.

(٩٣) **جورجي زيدان:** مرجع سابق، ص ٤٥٩.

(94) **M. Z. Pakalın**: a. g. e., I cilt, S 197.

(٩٥) انظر **محمد فؤاد كوبريلى:** مرجع سابق، ص ١٥٦ – ١٦١.

العثماني، لذا عندما اختيرت لها طريقة تنتسب إليها لم يُختر لها إلا الطريقة البكتاشية التي كانت تشكل جيبًا صوفيًّا غريبًا عن المجتمع العثماني هي الأخرى. ولم يكن لجوء الدولة إلى الاستفادة من مثل طرق الهرطقة تلك بالأمر الجديد على السياسة العثمانية في ذلك الوقت، إذ أن الدولة في بدايتها حاولت الاستفادة من هذا الثقل الذي تمثله.

وكان سعي الأمير أورخان لربط الانكشارية عند إنشائها بالطريقة البكتاشية[٩٦] يعود في الأساس إلى رغبته في إضفاء الشرعية على ذلك الوليد الجديد المنبت الصلة بالتركيبة الاجتماعية للمجتمع العثماني المسلم، حتى وإن كانت تلك الشرعية واهية، إذ إنها تستند إلى طريقة تختلف عن النسق العام لتيار التصوف في ذلك الوقت الذي كانت تمثله طرقًا صوفية سنيَّة غالبة في الدولة العثمانية وواسعة الانتشار فيها كالطريقة الخلوتية[٩٧]،

---

[٩٦] كان لجوء الدولة العثمانية إلى الاستفادة من الطرق الصوفية ومن بينها طرق الهرطقة كالبكتاشية –دون أن تجد غضاضة في هذا الأمر– يمثل نهجًا واضحًا في سياسة الدولة. إذ أن الدولة سعت عند بدايتها لعدم الاصطدام بها لما تمثله من ثقل شعبي كان سيؤدي عند معارضة زعماء هذه الطرق إلى إعاقة نمو الدولة، يؤكد على ذلك الأمر تلك الحماية التي اسبغها العثمانيون الأوائل على الدراويش الهراطقة، والتي تدلل عليها ما كان لباباوات التركمان من النفوذ في بعض الإمارات بغرب الأناضول أوائل القرن الرابع عشر.انظر، **محمد فؤاد كوبريلى:** مرجع سابق، ص ١٥٦ – ١٦١.

[٩٧] **الخلوتية** : هي إحدى الطرق الصوفية الكبيرة أسسها الشيخ سراج الدين عمر التركستاني المتوفي في عام ١٣١٧م. وقد ظهرت طرق كثيرة للغاية من تلك الطريقة. وأهم طريقتين ظهرتا منها هما: البيرامية في أنقرة والجلوتية في استانبول. وقد وصلت تلك الطريقة إلى العاصمة العثمانية مع جمال الخلوتي (ت ٨٩٩هـ/ ١٤٩٤م) وتأسست أول تكية لتلك الطريقة في قوجه مصطفى باشا. ومن الطرق الصوفية العثمانية الآخرى التي كانت عبارة عن فروع من الطريقة الخلوتية الطرق: الروشنية، والكَلشانية، والسنبيلية، والشعبانية والشمسية، والعشاقية، والأحمدية.انظر،

والرفاعية(٩٨)، التي كانت تنتمي إليها معظم تشكيلات الأخيان(٩٩). وكان هذا الأمر مقصودًا؛ إذ إن هذا يضمن عدم اندماج الانكشارية في التيار الصوفي العام للمجتمع، ويجعل شرعيتها مرهونة بشخص السلطان ومباركة شيخ طائفة البكتاشية. وفي هذا الإطار يمكن أن نفهم حرص السلطان أورخان عند إنشاء مدرسته في أزنيق عام ١٣٣١م على تعيين مدرسين ينتمون إلى الطريقة المولوية(١٠٠)، كمولانا داود القيصرى(١٠١) ومولانا تاج الدين

Yılmaz Öztuna:Tarih ve Politika Ansiklopedisi, Ötüken Neşriyat,ist.,2006.,s. 236.

(٩٨) الرفاعية : هي طريقة صوفية أسسها في العراق أحمد الرفاعي (١١١٨- ١١٨٣م) وانتشرت بين الأتراك في فترة مبكرة وكان لها زوايا في عدد من المدن التركية. أما مؤسس الرفاعية في الفترة الحديثة فهو كنعان الرفاعي (فيلبه ١٨٦٦- استانبول ١٩٥٠م). وكان كنعان قد درس في كلية الحقوق بعد أن أتم الدراسة الثانوية في غالاطه سراى، وأصبح شيخ الرفاعية، وتولى وظائف التعليم العالي. وكان كاتب وملحنًا وشاعرًا واقفًا على الثقافات واللغات الشرقية والغربية. وجلب كنعان الرفاعي مفهومًا حديثًا للتصوف. واعتنى بنشر هذا المفهوم بين الذكور والإناث بنفس القدر. انظر، **Yılmaz Öztuna**:a.g.e.,s494.

(99) **Mustafa Kara**: Osmanlı'da Tasavvuf ve Tarikatlar. Osmanlı Ansi., a. g. e., 1cilt,S. 199.

(١٠٠) **الطريقة المولوية** : إحدى فرق الدراويش في الدولة العثمانية، نسبة إلى جلال الدين الرومي المعروف بمولوي، وقد نزح من إيران، واستقر في مدينة " قونية "، وجمع حوله الأتباع والمريدين، وإلى طريقته ينتسب دراويش المولوية، فهم يستعينون بالرقص على إثارة النشوة الدينية عندهم، وللناي عندهم منزلة، وهم يقيمون طقوسهم الصوفية في تكيتهم، فيحتشدون فيما يسمى "سماع خانه"، ومن عقائدهم أن الله خلق عالم الأرواح قبل عالم الأجساد، وجعل روح النبي الكريم (ﷺ) في وعاء من نور على هيئة تلك القلنسوة التي يلبسونها، ولرئيس المولوية عند العثمانيين منزلة تتلو منزلة شيخ الإسلام، وكان يتولى تتويج سلاطين آل عثمان في مسجد أبي أيوب الأنصاري باستانبول، وسلسلة نسب هذه الطريقة هي جلال الدين الرومي عن شمس الدين التبريزي، عن ركن الدين السنجاني، عن قطب الدين الأبهري، عن أبي النجيب السهرودي، وتنتهي هذه السلسلة بالجنيد البغدادي. انظر، حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٥٨-٥٩.

(١٠١) **داود القيصري**: من علماء الدولة في عهد الأمير اورخان تعلم في بلاده قرامان، ثم ارتحل إلى مصر وقرأ على علماء التفسير والحديث والأصول، وبرع في العلوم العقلية، وتعلم التصوف

الكردي[١٠٢] في مدرسته تلك[١٠٣]. وذلك لإحداث توازن بين الطرق الصوفية الموجودة على الساحة حينئذ.

وهذا الاختلاف بين الانتماء الصوفي لفرقة الانكشارية كجماعة وظيفية وبين الانتماء الصوفي لزمرة العلماء من خريجي المدرسة العثمانية سيكون له أثر بارز في العلاقة الملتبسة التي سادت بين الجانبين عبر تاريخ الدولة.

ولعل ما قام به السلطان أورخان لحل مشكلة الشرعية التي واجهت الانكشارية كجماعة وظيفية في الدولة العثمانية، يشبه إلى حد بعيد ما قام به السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (١٢٦٠- ١٢٧٧م) الذي واجه هو الآخر مشكلة شرعية المماليك كجماعة وظيفية هم الآخرين. ذلك أن بطولات المماليك في المنصورة عام ١٢٤٩م، وعين جالوت عام ١٢٦٠م لم تشفع لهم في عيون المعاصرين، الذين رأوا فيهم عبيدًا اغتصبوا السلطة من ساداتهم الأيوبيين. ووجد بيبرس أن الحل لمشكلة الشرعية يكمن في إعادة إحياء الخلافة العباسية في القاهرة سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦١م، وقام الخليفة العباسي بتفويض السلطان الظاهر بيبرس في حكم البلاد الإسلامية. وهكذا

وشرح فصوص الحكم لابن عربي ووضع لشرحه مقدمة بيّن فيها أصول علم التصوف. وعُين للتدريس في المدرسة العثمانية الأولى في أزنيق فدّرس هناك وأفاد وأجاد فكان عابدا زاهداً متورعاً صاحب أخلاق حميدة. **انظر طاشكوبرى زاده:** مرجع سابق، ص ٧.

(١٠٢) **تاج الدين الكردي:** أحد علماء الدولة العثمانية، قرأ على علماء عصره من أمثال سراج الدين الأرموي صاحب المطالع، وحصّل الكثير من العلوم وبرع في جميعها وتمهر في الفقه واشتهرت فضائله. بعد أن مات داود القيصري المدرس في مدرسة ازنيق نصبه السلطان اورخان مقامه ودرّس هناك مدة وأفاد طلبة زمانه. **انظر طاشكوبرى زاده:** مرجع سابق، ص ٨.

(103) **Sencer Divitçioğlu**: Osmanlı Beyliğinin Kuruluşu, Yapı Kredi Yayınları, İst., 2 baskı, 2000, s.60.

نالت دولة سلاطين المماليك البُعد الديني الذي يؤكد شرعيتها في عيون المعاصرين، على اعتبار أن البُعد العسكري الذي أفرز تلك الدولة كقوة قادرة على حماية العالم الإسلامي لم يكن كافيًا وحده، بدليل المصاعب التي واجهت سلاطين المماليك الأوائل من جانب المصريين والقوى السياسية الأخرى[١٠٤].

وبحلول القرن الخامس عشر كانت علاقة البكتاشية قد توطدت بفرقة الانكشارية، حتى وصل هذا التداخل بين الانكشارية والبكتاشية إلى الحد الذي صار رئيس الطريقة المنتخب يأتي إلى ثكنات الانكشارية في استانبول لكي يتوج هناك من قِبَل أغا الانكشارية[١٠٥].

وإلى جانب الدور الذي لعبته البكتاشية في إضفاء الشرعية على فرقة الانكشارية، فإنها قد لعبت دورًا آخر تمثل في تأهيل الانكشارية لتولي مراكز معينة داخل مؤسسة السلطة، من خلال ذلك السياق الذي سنته السلطة الحاكمة من أنظمة خاصة بهذه المؤسسة، تحكمها مبادئ وتوجهات ثابتة، منها: الطاعة المطلقة للسلطان، وبساطة العيش، والعزوبية، وعدم ممارسة أية مهنة أخرى غير الجندية[١٠٦].

وقد أدت تلك العلاقة العضوية بين الانكشارية والبكتاشية إلى تمتع طائفة البكتاشية بوضع خاص في الدولة العثمانية، تمثل في عدم تعرضها لأية مواجهات حادة من قبل السلطة المركزية الحاكمة كما حدث مع طرق

---

[١٠٤] **قاسم عبده قاسم:** السلطة بقوة السيف، مجلة الهلال، القاهرة، سبتمبر ٢٠٠٥م، ص ٨٤.

[١٠٥] **خليل إينالجيق:** تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، مرجع سابق، ص ٢٩٣.

[١٠٦] **حسن الضيقة:** مرجع سابق، ص ٩٣، وجورجي زيدان: مرجع سابق، ص٤٥٩.

هرطقة أخرى كالحروفية(١٠٧) والقلندرية. وهذا ما جعل اتباع الطريقة البكتاشية يقفون إلى جانب الانكشارية في حال العصيان والتمردات التي كانت تقوم فرقة الانكشارية ضد السلطان أو ضد أفراد السلطة الحاكمة، ويشتركون فيها بأنفسهم(١٠٨). وهذا ما سوف يدفع السلطان محمود الثاني عند إلغاء فرقة الانكشارية إلى هدم تكايا البكتاشية ونفي أعضاءها، على اعتبار أن طائفة البكتاشية اشتركت بالفعل والتحريض فيما قامت به الانكشارية من تمردات(١٠٩).

وبهذه الطريقة استطاع السلطان محمود الثاني أن يفصم عرى تلك الرابطة التي جمعت بين الانكشارية كجماعة وظيفية وبين البكتاشية كطريقة صوفية غريبة هي الأخرى عن النسق العام للطرق الصوفية السنية في الدولة، وبذلك قضى على الانكشارية كجماعة وظيفية، وفي الوقت نفسه على الشرعية التي كانت تستند عليها.

(١٠٧) **الحروفية** : هي طريقة شيعية ويذكر أيضًا أنها إحدى المذاهب. مؤسسها هو شهاب الدين فضل الله الاسترابادي (١٣٣٩-١٣٨٦م). وكان نسيمى أحد أكبر الشعراء الأتراك من مريديه، وقد أعدمت الحكومة المملوكية هذا الشاعر في حلب. ولكن الطريقة الحروفية انتشرت في المناطق العثمانية، وكان لها تأثير وأهداف سياسية حتى أنها اشتركت في محاولة لاغتيال بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢م)، وقد طاردت الحكومة العثمانية هذه الطريقة ومنعتها. ومن الملاحظ أن قسمًا من عقائد الحروفية قد انتقلت إلى الطريقة البكتاشية. انظر، **Yılmaz Öztuna**:a.g.e.,s264.

(108) **Mustafa Kara**: a. g. e., S 209.

(109) **Şamil Mutlu**: Yeniçeri Ocağının Kaldırılışı ve II Mahmud'un Edirne Seyahatı, Edebiyat Fakültesi Basımevi, İst., 2 baskı, 1994, s.24

المبحث الثاني
فساد الانكشارية: الأسباب والمظاهر والنتائج

أولاً: الأسباب

شهد الربع الأخير من القرن السادس عشر عقب وفاة السلطان سليمان القانوني مرحلة جديدة في تاريخ الدولة العثمانية، اهتزت فيها القواعد المتينة للنظام التقليدي الذي قامت عليه، وظهرت فيها إرهاصات الوهن وأمارات التحلل والفساد الإداري والاجتماعي والعسكري(١١٠). وقد اشتركت عدة عوامل وأسباب دفعت الدولة للوصول إلى تلك الحال، لعل من أهمها فساد فرقة الانكشارية، ذلك أن أسس تكوين تلك الفرقة وما حملته من صفات كجماعة وظيفية قد تعرض للخلل؛ مما جعلها تخرج عن كونها جماعة وظيفية تتولى حماية السلطة الحاكمة، لتؤدي أدوارًا أخرى قد تعارض في أحيان كثيرة توجهات تلك السلطة.

وقد تجمعت عدة أسباب في ذلك الوقت أدت إلى تلك النتيجة، كان من أهمها: استخدام الرعايا العثمانيين المسلمين بدلاً من الدوشيرمة في إمداد فرقة الانكشارية بما تحتاجه من جنود.

فقد شهد عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤– ١٥٩٥م) طفرة كبيرة في أعداد فرقة الانكشارية التي لم يكن عددها يتجاوز العشرين ألفًا في ذلك الوقت. ذلك أن السلطان قد سعى لإدخال بعض الرجال إلى أوجاق الانكشارية دون مراعاة للأصول المعمول بها، فدخل فيه من هم ليسوا منه، وصار ذلك عادة جارية. وقد شكل هذا الأمر حدثًا لافتًا ونقطة فارقة في منحنى التدهور والفساد الذي بدأت تسلكه فرقة الانكشارية، حتى أن قوچى

---

(١١٠) **عبد الرازق بركات:** نصوص من الفكر السياسي الإسلامي، مرجع سابق، ص ٦.

بك تحدث عن هذا الأمر في رسالته فقال: "ومنذ ذلك الحين صار أوجاق الانكشارية مفتوحًا أمام الاستانبوليين الذين لا يُعرف لهم مذهب ولا ملة، وأمام جنسيات أخرى من الترك والكرد واللاظ، والبغالة والحمَّالين والجمَّالين، وبائعي الحلوى، وقطاع الطرق والنشالين؛ فانهارت قواعده وأركانه وقوانينه، وانتشرت المفاسد والفتن واختل النظام"(١١١).

وفي عهد السلطان محمد الرابع (١٦٤٨– ١٦٨٧م) حدث تطور سلبي آخر ساهم في زيادة أعداد الانكشارية بشكل أكبر، وقد تمثل ذلك التطور في إلغاء نظام الدوشيرمة في عام ١٦٧٥م؛ مما أدى إلى انخراط أبناء الانكشارية وغيرهم من المسلمين الأحرار في سلك الأوجاق. وقد أدى هذا التغيير في تشكيل الانكشارية– إضافة إلى زيادة أعدادهم– إلى استقرار أسرهم في أهم المدن في الدولة العثمانية(١١٢). وكان لاستخدام الدولة للرعايا العثمانيين– بدلاً من الدوشيرمة– في الفرقة الانكشارية والسراي العثماني الأثر السلبي في النظام الذي قامت عليه الدولة منذ نشأتها(١١٣).

وقد أدى إلغاء نظام الدوشيرمة والسماح للأفراد العاديين بدخول فرقة الانكشارية وما أحدثه ذلك من زيادة مضطردة في أعداد جنودها، إلى الإخلال بالأسس الأيديولوجية التي قامت عليها تلك الفرقة من ناحيتين:

الأولى تتمثل في أن الغربة والعزلة والبُعد عن النسيج الاجتماعي للدولة كانت إحدى أهم صفات الانكشارية كجماعة وظيفية. وكان دخول عناصر من داخل هذا النسيج بما يمثلونه من علاقات اجتماعية وأبعاد

---

(١١١) **قوچى بك:** مرجع سابق، ص ١٥٣.

(١١٢) **أحمد عبد الرحيم مصطفى:** مرجع سابق، ص ١٥٤.

(١١٣) **خليل إينالجيق:** العثمانيون النشأة والازدهار، مرجع سابق، ص ٩٠.

معرفية وثقافية يُخل بالبناء العقدي لفرقة الانكشارية. لأن دخول مثل تلك العناصر سيؤدي حتمًا إلى نشوء مزيد من العلاقات البينية مع المجتمع، مما يعني بالضرورة أن تفقد الجماعة وضعها كجماعة وظيفية يناط بها في الأساس حماية السلطة الحاكمة، ومقاومة حركات المعارضة التي قد يقوم بها أفراد ذلك المجتمع.

والناحية الثانية تتمثل في أن زيادة أعداد تلك الفرقة كان سيؤدي حتمًا في نهاية الأمر إلى ترهل في جسد الانكشارية، مما يصعب معه الإبقاء على التماسك الذي يحافظ على سلامة ذلك الجسد وانضباطه. ذلك أن الانكشارية بما تحمله من صفات كجماعة وظيفية يتطلب أن تكون قليلة العدد، لأن هذا يضمن مزيدًا من الولاء والسيطرة. أما زيادة العدد فتخرج بها عن الإطار الذي أُنشئت من أجله، ولذلك نجد أن عدد أفراد الانكشارية لم يزد حتى عهد السلطان سليمان القانوني عن اثني عشر ألف جندي، في حين ارتفع عدد الانكشارية في بداية القرن الثامن عشر حتى وصل إلى سبعة وتسعين ألف جندي تقريبًا، يحصلون على رواتب سنوية وشهرية تزيد عن عشرة آلاف كيس(١١٤).

وهذا يوضح أن وجود الانكشارية كجماعة وظيفية كان يتناسب تناسبًا عكسيًّا مع قوة الدولة، فحينما كانت الدولة قوية كان عدد الانكشارية

(114) **Muhammad Paşa**: Nesayıh'ul-Vüzera v'el-Ümerâ, Derleyen ve Çeviren, Hüseyin Rağib Ugural, TTK., Ankara, 1969, s. 58.

وكان الكيس يساوي ثلاثين ألف أقجه في عهد الفاتح، وعشرين ألف أقجه في عهد القانوني، حيث كان القرش الواحد مساويًا لثمانين أقجه. وبعد عام ١٧٢٠م كان القرش الواحد يساوي ١٢٠ أقجه، فأصبح الكيس يساوي يساوي خمسون ألف أقجه. وقد ظل نظام الكيس هذا يستخدم حتى عام ١٨٧٧م، ثم ترك مكانه واستخدم القرش بدلا منه.انظر سهيل صابان: مرجع سابق، ص١٩٤-١٩٥

يقل، وعندما بدأت الدولة في الضعف زاد عددهم حتى أصبحت الدولة العثمانية بين أمرين: إما الإبقاء على تلك الجماعة التي فقدت وظيفتها بما تشكله من خطر وجودي على الدولة نفسها، أو القضاء عليها والتخلص من ذلك الخطر الذي أصبحت تمثله، فاختارت الحل الثاني.

وقد تنبه لطفي باشا(ت ١٥٦٣م) (١١٥) مبكرًا لهذا الأمر وأشار إليه في رسالته آصف نامه، مؤكدًا على ضرورة المحافظة على قلة أعداد الانكشارية، لأن هذا يضمن مزيدًا من السيطرة وحسن الأداء، فقال: "ويتعين الحذر من زيادة أعداد طائفة العبيد [الانكشارية]، فيجب أن يكونوا قلة وصفوة ويكون عدد أصحاب العلوفة(١١٦) منهم خمسة عشر ألف جندي ولا يقل عددهم عن هذا"(١١٧).

---

(١١٥) **لطفي باشا:** أحد فضلاء الوزراء والمؤرخين، جاء من اشقودره إلى استانبول وتدرج في وظائف الدولة المختلفة حتى تولى منصب الصدارة في عام ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م. ولكنه لم يلبث فيه كثيرًا إذ أنه تقاعد في عام ٩٤٧هـ/١٥٤٠م. توفي في عام ٩٦١هـ/١٥٥٣م بعد أن أدى فريضة الحج بثلاث سنوات. له عدد من المؤلفات منها: آصفنامه وهي تعد إحدى رسائل الإصلاح السياسي. كتاب خلاص الأمة في معرفة الأئمة وهو باللغة العربية ناقش فيه مشروعية الخلافة العثمانية، وكتاب تاريخ لطفي من ظهور العثمانيين حتى زمانه، إضافة إلى عدد آخر من المؤلفات.انظر، بروسه لي محمد طاهر: عثمانلى مؤلفلرى، مطبعه عامره، استانبول،١٣٤٢ه،ج٣، ص١٣٢-١٣٣.

(١١٦) **العلوفة:** هي مخصصات كانت تقدم للانكشارية وبعض الفرق الأخرى كبدل إعاشة، وكان مقدار العلوفة يقدر علي شكل يومية، وتُعطى في شكل مقسط بعضها شهري، وبعضها كل ثلاثة أشهر، يعني أربعة مرات في العام. وكانت الحروف الأولى للثلاثة أشهر العربية تشكل اسم القسط فكان القسط الأول يُسمى" مصر" لأشهر المحرم وصفر وربيع الأول؛ والقسط الثاني يُسمى" رجج" لأشهر ربيع الآخر جمادي الأولى وجمادي الأخرى؛ والثالث يسمى" رشن" لأشهر رجب وشعبان ورمضان؛ أما القسط الأخير فكان يسمى"لذذ" لأشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة. وكان كل قسط يسمى مواجب. انظر، **M. Z. Pakalın**: a. g. e., 3 cilt, S 544-545.

(١١٧) **لطفي باشا:** آصف نامه، ضمن نصوص من الفكر السياسي الإسلامي، مرجع سابق، ص ٨٩.

وقد أدت زيادة أعداد الانكشارية عن الحد المطلوب إلى إرهاق الدولة ماديًّا، خاصة أن توقف مرحلة الفتوحات العثمانية الكبيرة(١١٨) وما سببه ذلك من نقص في الغنائم الحربية قد أرهق ميزانية الدولة بشكل كبير. وسببت عملية إعاشة الانكشارية ومأكلهم ومشربهم أزمة مضافة فاقمت من أزمة الدولة المادية، وأصبح لزامًا على الدولة أن تبحث عن مصادر لدفع رواتب هؤلاء الجنود؛ مما دفعها إلى اتباع سياسات من قبيل التقشف، واستبدال العملات الذهبية والفضية بعملات أقل قيمة للاستفادة من فروق السعر، وانتهى الأمر بالاقتراض من الداخل والخارج للوفاء بمتطلبات هؤلاء الانكشارية ورواتبهم(١١٩).

كما أن الدولة اضطرت أيضًا- لكي تدفع رواتب هؤلاء الجنود- لوضع بعض أراضي التيمار تحت الإدارة المركزية للدولة، والتي عمدت بدورها إلى تأجيرها لكي تستفيد مما تدره عليها. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت بعض أراضي التيمار تنتقل بشكل غير شرعي إلى أيدي موظفي

---

(١١٨) لقد كان الجيش العثماني قادراً على الحفاظ على حدود طويلة، إلا أنه لم يكن يستطيع التوسع دون ثمن باهظ في الأرواح والأموال. وعندما فشلت الدولة العثمانية في تحقيق نفعاً اقتصادياً كبيراً في النصف الثاني من القرن السادس عشر, ظهرت عليها علامات التخمة الإستراتيجية، وهي تعني التضخم الكبير في القوات العسكرية، واستخدامها لتحقيق أهداف سياسية في أماكن مختلفة. فقد كان الجيش الكبير مرابطاً في وسط أوربا، والأسطول الضخم في البحر المتوسط، وبعض القوات في شمال إفريقيا، وبحر إيجه، والبحر الأحمر. وكانت كل تلك القوات الكبيرة, تحتاج إلى تعزيزات لمواجهة ظهور المذهب الشيعي على يد الصفويين في إيران مما تتطلب تكاليف باهظة لم يكن في مقدور الدولة أداءها دون أن تؤثر على مؤسسات الدولة الأخرى. انظر،
بول كيندي: القوى العظمى، ترجمة د. عبد الوهاب علوب، دار سعاد الصباح، القاهرة، ١٩٩٣م،ص ٣١.

(119) **Binhan Elif Yılmaz:** Osmanlı İmparatorluğu'nu Dış Borçlanmaya İten Nedenler ve İlk Dış Borç. Akdeniz İ.İ.B.F. Dergisi, 2002, S. 188- 190.

البلاط والحكومة، بينما كان الباقي يتحول إلى أوقاف. وبهذا الشكل خسرت الحكومة العثمانية ما كان يرد إليها من هذه الأراضي، ولما كانت الضرائب غير كافية فقد أصبحت الخزينة المركزية في عجز دائم(١٢٠).

أما ثاني الأسباب التي أدت لفساد فرقة الانكشارية كجماعة وظيفية، فقد تمثل في السماح لأفرادها بالزواج، بداية من النصف الثاني للقرن السادس عشر عندما سمح السلطان القانوني للانكشارية بالتزوج والإقامة خارج ثكناتهم، مع إعطائهم بعض الامتيازات وقبول الأخلاط ضمن زمرتهم(١٢١). وتمثلت هذه الامتيازات في السماح للجنود الانكشارية بإدخال أبنائهم إلى أوجاق الانكشارية دون النظر لأهلية هؤلاء الأبناء من عدمه، وأصبح يحق لهؤلاء الأولاد الذين كان يطلق عليهم "قول اوغللر" الالتحاق مباشرة بأوجاق العجمية وتخصص لهم العلوفات(١٢٢).

وليست القضية- كما نعتقد- في الزواج، فالجنود في كل الجيوش كانوا يتزوجون عبر مئات السنين دون أن يؤدي ذلك إلى ضياع التزام الجندي وفساد انضباطه. وحتى في الدولة العثمانية كان الزواج مسموح به لكل فرق الجيش فيما عدا فرقة الانكشارية، مما يعد دليلاً على أن المشكلة كانت بالأساس في تكوين الانكشارية كجماعة وظيفية وليست في الزواج كعلاقة اجتماعية.

وذلك أن تكوين علاقات طبيعية من قبيل الزواج والمصاهرة سوف يؤدي بالضرورة إلى تكوين شبكة علاقات اجتماعية تجعل من جندي

---

(١٢٠) **خليل إينالجيق:** تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، مرجع سابق، ص ٨٠.

(١٢١) **محمد فريد:** مرجع سابق، ص ١٠٩.

(١٢٢) **عبد القادر أوزجان:** مرجع سابق، ص ٣٩٠.

الانكشارية الغريب عن ذلك المجتمع بحكم التنشئة والوظيفة، يمارس حياته بشكل طبيعي وسط جو من العلاقات التراحمية التي توفرها أواصر من قبيل الزواج والأبوة . وحينما تنشأ مثل تلك العلاقات يعجز الجندي الانكشاري عن القيام بوظيفته داخل الجماعة الوظيفية، تلك الوظيفة التي تتطلب قدرًا كبيرًا من الحيادية تجاه المجتمع الذي يمثل بالنسبة له الآخر، المطلوب مواجهته عند حدوث أي تمرد أو عصيان ضد السلطة الحاكمة التي يناط بهؤلاء الجنود حمايتها والمحافظة عليها. كما أن السماح للانكشارية بالزواج قد عمق من ارتباط هذه الفرقة بالمجتمع العثماني بشكل عضوي، وهذا وفر للانكشارية مزيدًا من القدرة والمنعة التي مكنته بعد ذلك من مقاومة سياسات السلطة المركزية.

وقد استتبع الإذن لجنود الانكشارية بالزواج، أن سُمح لهم منذ عهد السلطان مراد الثالث بالمبيت في منازلهم خارج الثكنات، ولم يكن يُسمح لهم بمقتضى قانون الانكشارية بالمبيت خارج ثكناتهم مطلقًا(١٢٣). وصار أكثر الانكشارية يمضون أوقاتهم في ثكناتهم تلك دون تدريب أو تعليم، بل يشتغلون بالتجارة كأصحاب أولاد وعيال، وإذا صدر لهم أمر لا يناسب منافعهم أو يقلل من راحتهم، كانوا على الفور يتجمعون ويقلبون قدورهم علامة على رفضهم. ومع الوقت تعود الانكشارية على عدم تنفيذ من يطلب إليهم من أعمال. وكانت الدولة تخشى من معاقبتهم خشية إظهار الفتنة؛ فتحول هؤلاء الانكشارية إلى مجموعة متمردة وغير منضبطة من الجنود(١٢٤).

---

(١٢٣) **جورجى زيدان:** مرجع سابق، ص ٤٦٠.

(124) **Yusuf Akçura**: Osmanlı Devletinin Dağılma Devri, TTK., Ankara, 3 Baskı, 1988, s. 46 - 47.

لذا؛ نجد أن لوائح الإصلاح التي تقدم بها رجال الدولة العثمانية بداية من القرن السادس عشر قد أجمعت على أن دخول الأجانب إلى أوجاق الانكشارية كان السبب الرئيس في فساد الانكشارية(١٢٥). وأكدت آراء إصلاحية على أن إصلاح أوجاق الانكشارية وانتشاله مما ألم به من فساد وتدهور لن يتم إلا إذا تولى أموره من نشأ فيه وتربى على أصوله. والطريق إلى ذلك يتمثل في أن يتولى منصب أغا الانكشارية رجل مشهود له بالأمانة، وحسن التدبير، والتدين، والخبرة، والاقتدار، وحب الخير، والدراية بأمور الإدارة والحرب، والهمة، والخشية من الله تعالى وعذابه يوم القيامة(١٢٦).

والواقع أن من طرح تلك الآراء لم يتنبه إلى أن مكمن الفساد لم يكن في تولية شئون الانكشارية رؤساء غير مؤهلين، وأن الحل يتحقق بتولية أشخاص من ذوي الكفاءة أمور الانكشارية. بل إن فساد الانكشارية مرجعه- في رأينا- إلى أن الانكشارية كجماعة وظيفية قد أصاب الخلل أسس تكوينها بدخول الأجانب إليها، والسماح لأفرادها بالزواج، بحيث فقدت هويتها كجماعة وظيفية، ولم تعد تؤدي الدور المنوط بها في المجتمع. وتحولت الانكشارية من جماعة متماسكة تتميز بعدد من الصفات والمحددات إلى تشكيلات من الأفراد لكل منها أحلامه وتطلعاته المختلفة، والمعارضة في أحيان كثيرة لرؤى وتطلعات النخبة الحاكمة وجموع الشعب.

ولعل هذا ما دفع أحد المصلحين الكبار- وهو قوچى بك- للمطالبة بشكل واضح بإلغاء فرقة الانكشارية، متسائلا في نهاية الفصل الذي عنونه

---

(١٢٥) انظر **عبد الرازق بركات:** مرجع سابق، ص ١٩ - ٢٧.

(126) **Muhammad Paşa**:a. g. e., s. 66 - 67.

بـــ(في بيان أسباب بداية تغير فرقة الانكشارية) بقوله: "فهل عساكر الإسلام هكذا؟ وهل التقيد بهؤلاء في زماننا فرض عين؟". وفي الوقت نفسه محـــذرًا من أن بقاء الانكشارية على حالها هذا من الفساد والانحلال سيلحق بالدولـــة العثمانية أشد الضرر، فقال:" إنه إذا لم يتم تصحيح تلك الأحوال، وإذا لم تتم إعادة تنظيم ذلك المُلك سيهلك رعايا تلك الأمة. وذلـــك أن فرقـــة العســـكر السلطاني(الانكشارية) قد شقت عصا الطاعة، وانفك الضباط من الانضباط، وتلك الفرقة لا تستجيب للنصيحة، ولا يجدي معها الإنعام عليها". مؤكدًا في ذات الوقت على أن: "الاهتمام بضبط الزعامت والتيمار كفيـــل بـــأن تنشـــأ صفوة ممتازة من الزعماء وأرباب التيمار، تتولى حماية الدولة وتحمل معها أعلام النصر؛ فتنتعش أحوال الرعايا، ولا يجرؤ أحد على اقتـــراف مثقـــال ذرة من الظلم ولا يستطيع أفراد القبوقولية التعدي على أحد"[١٢٧].

وفي الختام، يمكن القول أن السماح للانكشارية بـــالزواج وتســـجيل أبنائهم في أوجاق الانكشارية قد أدى إلى توسع هائل للعلاقات الاجتماعيـــة بين الانكشارية ومختلف طبقات المجتمع، وقد مهد هذا لدخول عناصر مـــن غير المجندين بطريقة الدوشيرمة، مما أحدث تغيرًا في البنية العرقية لتلـــك الفرقة التي بدأت تَتَترَّك أكثر فأكثر[١٢٨]. إذ إن السكان الأتراك سعوا أكثـــر من غيرهم للالتحاق بفرقة الانكشارية؛ للاستفادة من الامتيازات التي كـــان يحصل عليها هؤلاء الجنود، وقد نتج عن ذلك تغير في البيئة النفسية لتلـــك الفرقة التي كانت تتشكل من أشخاص معتنقين الإسلام، فاقـــدين لأصـــولهم

---

[١٢٧] **انظر، قوچى بك:** مرجع سابق، ص ١٨١،١٦٠،١٥٤.

[١٢٨] كان أوجاق الانكشارية يتشكل حصرًا من جنود ذوي أصول ألبانية وأرمينية وبلغارية وبوشناقية ولم يكن يسمح لغيرهم من الأعراق والأجناس بالانضمام للانكشارية مطلقًا. انظر،

M. Z. Pakalın: a. g. e., 1cilt, S.445.

الجنسية والدينية والثقافية، وهذا ما كان يساعد الانكشارية على القيام بدورها كقوة خاصة[١٢٩].

وكان لهذا الخلل الذي أصاب البنيـــة الايدلوجيـــة والماديـــة لفرقـــة الانكشارية أثر بالغ في تحول ذلك الفصيل المقاتل المسلح إلى واحـــد مـــن أكثر عناصر الدولة اضطرابًا وخطرًا، إذ تحولت تلك فرقـــة مـــن جماعـــة وظيفية على هامش التركيبة الاجتماعية العثمانية تؤدي دورها المرسوم لها من قبيل السلطة الحاكمة، إلى واحدة من أهم المساهمين في رسم ملامح تلك السلطة وتوجهاتها، بل ومعارضتها والتمرد عليها.

---

[١٢٩] **إيرينا بتروسيان:** مرجع سابق، ص ٢٢١.

ثانيا: المظاهر

لم تكد فرقة الانكشارية تنتهي من عملية التحول الذي شهدته بنيتها الأيديولوجية والهيكلية، حتى تحول أفرادها من بنية حربية تنظيمية واقعة تحت مراقبة جادة من السلطة العليا، إلى مجموعة من الجنود معنيين فقط برفع أجورهم ودخولهم، ومستعدين في الوقت نفسه للكفاح بقوة باستخدام السلاح في سبيل تحقيق مصالحهم المادية(١٣٠).

يؤكد على ذلك ما ذكره حسن الكافي الآقحصارى(١٣١) في رسالته التي ألَّفها عام ١٥٩٥م، عندما قال: "وقد بدأ البغي في ديار الروم بين عساكر المسلمين منذ ثلاث سنين، عندما طغى كثير منهم في البلاد وأكثروا فيها الفساد، بهتك أعراض المسلمين ونهب أموالهم، والتعرض لنسوانهم وأولادهم، والغارة على أرزاق الرعايا، وإيذاء الفقراء والضعفاء، وخصوصًا الطائفة الخاصة [يقصد الانكشارية]. ولعمري أن أكثر ما وقع من الإخلال ما وقع إلا بسبب الطمع في المال من غير تمييز الحلال والحرام"(١٣٢).

---

(١٣٠) **إيرينا بتروسيان:** مرجع سابق، ص ١٨٣، ٢٢٤.

(١٣١) **حسن كافي الآقحصاري البوسنه وي:** أحد الفضلاء، ولد في البوسنه، أكمل دراسة العلوم في البوسنه في عام ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م. وتوفي في عام ١٠٢٥هـ/١٦١٦م. اشتهر باسم كافي لمهارته في كافة العلوم وقيل لأنه كتب شرحًا على كتاب الكافية في النحو. من مؤلفاته: شرح عقائد الطحاوي، شرح على مقدمة الصلاة للفناري، شرح القدوري، سمط الوصول إلى علم الأصول، متن وشرح في علم المعاني، أصول الحكم في نظام العالم، وهي رسالة إصلاحية قدمها إلى السلطان محمد الثالث. انظر، بروسه لي محمد طاهر:مرجع سابق،ج١، ص٢٧٧.

(١٣٢) **حسن كافي الآقحصاري:** أصول الحكم في نظام العالم، تحقيق نوفان رجا الحمود، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٦، ص ٣٧.

والآقحصارى هنا يصف حال الانكشارية في سعيها في الحصول على المال دون مراعاة لحرمة، وهذا ما تمتاز به الجماعة الوظيفية من ازدواجية المعايير والنسبية الأخلاقية، حيث يتعامل أعضاء الجماعة الوظيفية مع أعضاء المجتمع المضيف بشكل موضوعي محايد لا يتسم بأي التزام أخلاقي، لذا يصير هذا المجتمع شيء مباح لا يتمتع بأية قداسة ولا حرمة، ولا أهمية له إلا بقدر ما يحقق له من منافع[(١٣٣)].

وكان لضعف جيش سباهية التيمار- الذي كان يعتبر عنصر توازن هام أمام فرقة الانكشارية- أثرًا قويًا في زيادة نفوذ جند القابوقولي عمومًا، سواء في مركز الدولة أو في مختلف ولاياتها، حيث بدأت هذه الفرقة توجه الأحداث في أنحاء الدولة[(١٣٤)]. مثال ذلك ما حدث في عهد السلطان مراد الثالث عندما عقد الصلح مع العجم وانقطعت الحروب على سائر حدود الدولة تقريبا، ولكن هذه السكينة لم تكن لترضي الانكشارية الذين كانوا يفضلون استمرار الحروب للنهب والسلب وارتكاب ما لا خير فيه، فلما بلغهم أن المخابرات سائرة للوصول إلى الصلح، ثاروا باستانبول وطلبوا تسليم الدفتردار[(١٣٥)] لقتله؛ بدعوى أنه أراد أن يصرف لهم نقودًا ناقصة العيار، ولم يقو السلطان على منعهم[(١٣٦)].

[(١٣٣)] **عبد الوهاب المسيري:** الموسوعة، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٧٨.

[(١٣٤)] **خليل إينالجيق:** العثمانيون النشأة والازدهار، مرجع سابق، ص ٩٠.

[(١٣٥)] **الدفتردار:** هو الاسم الخاص بالموظف الذي كان يتولي رئاسة الشئون المالية في الدولة العثمانية والذي كان يعد الركن الثالث من أركان الديوان. وقد ظهر المنصب في عهد مراد الأول، وظل هناك دفتردار واحد حتى عهد السلطان محمد الفاتح عندما انقسم هذا المنصب إلي قسمين دفتردار الروميللي، ودفتردار الأناضول. وفي عهد سليم الأول أضيف دفتردار ثالث خاص بالولايات العربية. وبسبب تأسيس منصب الدفتردار تأسست الإدارة المالية، والتي كانت تتكون

وقد أصبح تدخل فرقة الانكشارية في السياسة أحد تجليات فسادها وانحلالها، ذلك أن الانكشارية بعد أن كانت تؤدي وظيفتها كجماعة وظيفية ضمن أدوار أخرى لقوى متعددة، صارت مع بداية القرن السابع عشر أداة في النزاع على السلطة بين النخبة في البلاط[١٣٧]. وقد أخذ شيخ الإسلام والعلماء منذ ذلك التاريخ في الاتفاق مع الانكشارية؛ مما زاد من ضغط هذه القوة للتخلص من السلاطين والوزراء، فقد كان الانكشارية يحتاجون حين يتمردون إلى فتوى من شيخ الإسلام[١٣٨]، لكي يبدو ما يقومون به شرعيًّا[١٣٩].

من مائة وسبعة وعشرين حجرة. وكان الدفتردار يحضر مع الوزير الأعظم كل يوم ثلاثاء إلى الحضرة السلطانية، وكان يمكنه أن يقدم المعروضات للسلطان، ولكن بعد أن تمر أولاً على الصدر الأعظم.وفي عام ١٨٣٨م ألغي هذا المنصب واستبدل به نظارة المالية. انظر:
M. Z. Pakalın: a. g. e., 1 Cilt.,411-418

(١٣٦) **محمد فريد:** مرجع سابق، ص ١١٦.

(١٣٧) **إيرينا بتروسيان:** مرجع سابق، ص ٢٢٥.

(١٣٨) **شيخ الإسلام:** هو لقب للعالم الموجود على رأس الطبقة العلمية في الدولة العثمانية، وهذا اللقب لم يستحدثه العثمانيون فقد بدأ استعمال هذا اللقب في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، ولم يستعمل هذا اللقب فقط في مقام التعظيم بل استعملت ألفاظ مثل عماد الإسلام وفخر الإسلام وركن الإسلام وزين الإسلام وشمس الإسلام وبهاء الإسلام وحجة الإسلام في هذا الشأن. وقد اشتهر بلقب شيخ الإسلام عدد من كبار العلماء والفقهاء مثل ابو الحسن على الصغدي وعطا بن حمزة الصغدي، وعلي بن محمد السيجانى ونظام الدين عمر بن برهان الدين، وكان أول من تلقب بلقب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية هو مولانا علوان فقيه. وقد استعمل لفظ المفتي ولفظ شيخ الإسلام كألفاظ مترادفة، وقد تم استحداث هذا المنصب في عهد السلطان مراد الثاني وفي بداية تشكيل هذا المنصب كان هذا المنصب خاص بإصدار الفتاوى المتعلقة بالدعاوى القضائية التي تظهر، حتى أن قاضي العسكر كان يتقدم على المفتين، ثم مع الوقت توسعت صلاحيات شيخ الإسلام حتى تقدم على قضاة العسكر وسائر المفتين في الدولة العثمانية وكان ذلك في القرن السابع عشر الميلادي، وأصبح تعيين شيخ الإسلام يدخل ضمن سلطات الصدر الأعظم. انظر:
Mehmet Z. Pakalın : 3 cilt, S 347- 350

(١٣٩) **خليل إينالجيق:** تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، مرجع سابق، ص ٩٥.

وإذا كانت آلية انفصال السلطة عن المجتمع تشكل الأسباب العميقة لنشأة مؤسسة الانكشارية، فإن تآكل وضمور مركز السلطان قد وفر الأسباب المباشرة التي أتاحت لهذه المؤسسة التحول من جهاز تابع للسلطة إلى قوة مركزية متحكمة- إلى حدود بعيدة- بمباني السلطة المختلفة. وهذا ما نجد ترجمته منذ القرن السادس عشر، حيث بدأت مؤسسة الانكشارية تتصدى للقيام بعمليات عزل وتصفية وتعيين السلاطين والصدور العظام والولاة، أو المساهمة في صياغة السياسات المتعلقة بالسلم والحرب وشتى سياسات الدولة الداخلية(١٤٠).

والواقع أن تدخل الانكشارية كجماعة وظيفية في السياسة منذ القرن السابع عشر وما تلاه من قرون كان يختلف بشكل جذري عن تدخلها في السياسة في فترات سابقة. ذلك أن تدخل الانكشارية في عهود سابقة كان من قَبِيل التَّدخل للحفاظ على السلطة الشرعية التي تمثِّل شريان الحياة لهذه الفرقة. لأن سقوط تلك السلطة كان يعني بالضرورة إلغاء الدور الذي تقوم به كجماعة وظيفية، لذا نجدهم يتدخلون في السياسة لصالح القوى الشرعية الممثلة في السلطان. أما مع ضعف الدولة بداية من القرن السابع عشر فقد أصبح التدخل في السياسة ليس لحماية المصالح العليا للدولة الممثلة في حماية السلطة الشرعية والحفاظ عليها، بل أصبح لحماية المصالح الذاتية لأوجاق الانكشارية بعد أن توحد به الجنود، وصار الدفاع عنه يسبق الدفاع عن مصالح الدولة.

فالانكشارية كجماعة وظيفية لعبت دورًا حاسمًا لصالح السلطان مراد الثاني في مواجهة عمه الأمير مصطفى، وكان التدخل لحماية الدولة من

(١٤٠) **حسن الضيقة:** مرجع سابق، ص ٩٩.

خطر الانقسام والحفاظ على السلطة الشرعية. وعندما توفي السلطان محمد الفاتح لعبت الانكشارية الدور نفسه في تولية السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١- ١٥١٢م) كوريث لعرش السلطان الراحل. وذات الدور لعبته الانكشارية في إجبار السلطان بايزيد الثاني على التنازل عن العرش لابنه السلطان سليم الأول عندما استشعرت الخطر المحدق بالدولة والمتمثل بالدولة الصفوية. وظهرت الانكشارية في تلك الأحداث كمدافع عن المصالح السياسية للأسرة الحاكمة في إطار مهمتها كجماعة وظيفية تشكل جزءًا محايدًا عن المجتمع، تعرف حدود أدوارها، ولا تطمح للمشاركة في السلطة على نحو يقلل من شأن تلك السلطة أي يلغي وجودها بالأساس[١٤١].

والواقع أن مثل تلك التدخلات ستختلف بشكل جوهري عن تلك التي حدثت بداية من القرن السابع عشر، إذ إن الأولى قد تمت في إطار من تبادل المصالح المشتركة بين السلطة الحاكمة وبين الانكشارية كجماعة وظيفية تحمي هذه السلطة. أما الثانية فقد حدثت في إطار تمدد القوى واختزال إحداهما على حساب الأخرى.

ذلك أنه منذ ذلك التاريخ بدأت الدولة العثمانية تدرك أنها بانفصالها عن القوى المجتمعية والضعف الذي أصابها، قد أضحت وحيدة في مواجهة تضخم قوة الانكشارية[١٤٢]، لذا أخذت تحاول التقليل من قوة الانكشارية

---

[١٤١] للوقوف على الأدوار التي لعبتها الانكشارية في تلك الأحداث، انظر: **Aydın Taneri**: a. g. e. S.145، **ومحمد فريد**: مرجع سابق، ص ٦٨، ٧٢؛ **إيرينا بتروسيان**: مرجع سابق، ص ١٢١، ١٢٣؛ **وخليل إينالجيق**: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، مرجع سابق، ص ١٠٠، ١٠١.

[١٤٢] لقد حاولت الدولة العثمانية مواجهة الانكشارية عن طريق جند السكبانية المشاة المسلحون بالبنادق، إلا أن جنود السكبان طالبوا بمساواتهم من حيث الدرجة والامتياز بأوجاق الانكشارية.

المتنامية، والسيطرة عليها عن طريق طرح مشروعات لإصـــلاحها، وفـــي المقابل بدأت الانكشارية تعارض أي إصلاح يلامس ركائزها الإيديولوجيـــة والبنيوية التي قامت عليها.

وقد أدت تلك المواجهة إلى ظهور المظهر الثاني لفساد الانكشـــارية، والمتمثل في عدد من محاولات التمرد والعصيان الذي قامـــت بهـــا فرقـــة الانكشارية. وهذا يعني أن القضية– في رأينا– لا تكمن عند دراسة تمردات الانكشارية في البحث عن تفصيلات وأسباب من قَبِيل عدم الحصول علـــى الرواتب أو الحرمان من المكافآت ومنح الجلوس(١٤٣)، لأن كل هذه الأسباب على أهميتها لا تستطيع أن تفسر بشكل كامل هذه التمردات، إلا إذا نظرنـــا إليها في إطارها الكلي داخل مفهوم الجماعة الوظيفيـــة، إذ إن مثـــل هـــذه التمردات كانت تجليات لأسباب أخرى، تمثلـــت فـــي فقـــدان الانكشـــارية لخصائصها كجماعة وظيفية، مما نتج عنها اختلاف في أدائها داخل الدولـــة تبعه تمرد وعصيان على السلطة التي تحكمها.

وهكذا ظهر تنافس شديد بين جنود السكبان الذين كان لهم نفوذ في أيالات الدولة، وبـــين فرقـــة الانكشارية التي كانت تسيطر على مركزها في استانبول. وقد جعـــل هـــذا التنـــافس الحكومـــة المركزية تسعى لإحكام قبضتها على الإيالات، وإيقاع العقاب بعسكر السكبان أو القضاء عليهم إذا لزم الأمر ذلك. ومن ناحية أخرى تخطط لتأديب وتنظيم جند الانكشارية الذين ســـيطروا بـــالقوة على مقاليد الأمور في مركز الدولة عن طريق هؤلاء الجند من السكبان. ومن الواضح أن هـــذه السياسة التي اتُبعت أدت إلى تردي الأوضاع في أنحاء الدولة أكثر مما كانت عليـــه مـــن قبـــل. انظر، **خليل إينالجيق**: العثمانيون النشأة والازدهار، مرجع سابق، ص ٩٥.

(١٤٣) كان الانكشارية إلى جانب رواتبهم والعلوفات التي كانت تخصص لهم يحصلون إلى جانب ذلك على هبات من كل سلطان جديد يجلس على العرش، وأخرى عند خروجه للحرب للمرة الأولى. وكانت هبات الجلوس على العرش من الأمور التي أرهقت خزانة الدولة لاسيما في أيام الضيق. انظر **عبد القادر أوزجاق**: مرجع سابق، ص ٣٩١.

وفي هذا الإطار يمكن أن نفسر أسباب التمرد على السلطان عثمـــان الثاني (١٦١٨م– ١٦٢٢م) وقتله بهذا الشكل الدموي المفجع، لأول مرة في تاريخ العلاقة بين السلطة المركزية العثمانية وبـــين الانكشـــارية كجماعـــة وظيفية. ذلك أن الانكشارية بمجرد أن شعرت أن السلطان عثمـــان الثـــاني يتطلع– بإيعاز من المحيطين به– لفرض نفوذه والحـــد مـــن نفـــوذ جنـــود الانكشارية الذين تزايدت أعدادهم وأخذوا يهددون الســـلطنة[١٤٤]، ســـارعت لوقف هذا التطور عن طريق القيام بعصيانٍ دامٍ استهدف الحاكم نفسه لأول مرة في التاريخ العثماني، حيث انتهى هذا العصيان بخلع السلطان عثمـــان الثاني في العشرين من مايو عام ١٦٢٢م، والقبض عليه وإهانته بشكل بالغ، وإعدامه في اليوم التالي[١٤٥]، وقد عرفت تلك الحادثة في التاريخ العثمـــاني بـــ" هائلة عثمانية"[١٤٦].

وكان خلع السلطان عثمان الثاني وقتله بهذه الطريقة شهادة على بدء مرحلة جديدة من العلاقة بين السلطة الحاكمة وبين الانكشـــارية كجماعـــة وظيفية؛ إذ تحولت تلك العلاقة إلى صراع وجودي طويل الأمد، تحولت فيه الانكشارية من السند الأول للسلطة العليا إلى قوة اجتماعية مستقلة مواجهـــة لها. وحدث للمرة الأولى أن تجرأت فرقة الانكشارية على خلـــع الســـلطان الحاكم. ولم يحدث هذا بسبب التدخل في قضايا النزاع بين أفـــراد الأســـرة الحاكمة، بل حدث لأن السلطان قد أدرك مدى انحلال جـــيش الانكشـــارية

---

(١٤٤) **فريدون أمجن:** مرجع سابق، ص ٥٣.

(١٤٥) **محمد فريد:** مرجع سابق، ص ١٢٤.

(١٤٦) **وفاء أحمد البستاوي:** فكرة الإصلاح في تذاكر أحمد جودت باشا، القاهرة،٢٠٠٩م، ص ٢٧.

وسعى إلى إعادة الانضباط إليه، والحد من نفوذه، وحاول تشكيل جيش جديد(١٤٧).

وبعد خلع السلطان عثمان الثاني وقتله بهذه الطريقة؛ أصبحت اليد الطولى في هذا الصراع بين القوتين للانكشارية؛ مما عطل جهود التحديث إلى القرن التاسع عشر. ذلك أن الانكشارية أصبح بمقدورها عزل السلاطين والصدور العظام بل وقتلهم إذا لزم الأمر. وأصبحت السلطة المركزية الممثلة في السلطان العثماني تجيب طلباتهم إسكاتًا لهم، وخوفًا أن يصل إليه آذاهم. واتخذ الصراع شكلاً أكثر دموية لامجال فيه للتوافق، وتحول إلى صراع وجودي كان لابد أن ينتهي بانتصار أحد الطرفين على الآخر(١٤٨).

وقد أحدثت محاولات التجديد التي تمت في القرن الثامن عشر تمردات دموية، مما جعل محاولات الإصلاح تلك تبدو وحيدة أمام معارضة كل من العلماء وطبقة الانكشارية والشعب. وبلا جدال كانت الغلبة لصالح الطرف الثاني المتمثل في العلماء والانكشارية والمعارضة الشعبية. وكان ذلك يؤدي في نهاية الأمر إلى عزل السلطان من عرشه أو قتله في بعض الأحيان، أما مؤيدو الإصلاح من الوزراء فكان مصيرهم دائمًا القتل بوحشية(١٤٩).

---

(١٤٧) **إيرينا بتروسيان:** مرجع سابق، ص ٢١٣.

(١٤٨) مثال ذلك ما حدث من عزل السلطان إبراهيم الأول وقتله عام ١٦٤٨م، والسلطان محمد الرابع عام ١٦٨٧م، والسلطان مصطفى الثاني عام ١٧٠٣م، والسلطان أحمد الثالث عام ١٧٣٠م، والسلطان سليم الثالث عام١٨٠٧م، والسلطان مصطفى الرابع وقتله عام ١٨٠٨م. **انظر محمد فريد:** مرجع سابق، ص ١٢٥-١٣٠؛١٤٢-١٤٦؛١٩٤-١٩٨.

(149) **Enver Ziya Karal** : Tanzimattan Evvel Garplılaşma Harektleri, Tanzimat'da, Milli Eğitim Basımevi,ist.,1999,Icilt,s,18.

ومن اللافت للنظر أن تمردات الانكشارية اعتبارًا من هـذا القـرن الثامن عشر قد تحولت إلى نوع من التمـردات الشـعبية؛ بسـبب تشـكيل الانكشارية لما يشبه الطبقة الوسطى في المجتمع، وسعي جموع الشعب إلى تأسيس روابط اقتصادية مع هذه الطبقة إلى جانب الروابط العائلية(١٥٠).

وقد دفعت تلك الحال السلاطين إلـى عـدم إثـارة الانكشـارية أو الاقتراب منها بأي نوع من التحديث؛ لذا نجد عمليات التحديث التي جـرت في عهد السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧م- ١٧٧٤م) والسلطان عبد الحميد الأول (١٧٧٤م- ١٧٨٩م) لم تسع إلى إحداث تغيير جذري في الجيش بغية إصلاحه، وإنما كان الإصلاح يتم في إطار النظم العسكرية التقليدية للدولـة العثمانية(١٥١).

وكان عجز السلاطين عن إصلاح أوجاق الانكشارية بمثابة إشـارة لعدم قدرة السلطة الحاكمة على السيطرة عليه، وهذا يعني ضـمنًا محاولـة القضاء عليه واستئصاله فيما بعد. وهذا ما ظهر جليًّا في تصريح السـلطان مصطفى الثالث لابنه السلطان سليم الثالث (١٧٨٩م- ١٨٠٧م) الذي مفـاده أن جيش الانكشارية قد فسدت تشكيلاته تمامًا ولم يعد قابلاً للإصلاح(١٥٢).

ونحن نقصد بالإصلاح هنا ليس تحديث الانكشارية عن طريق تعلـم أساليب قتالية جديدة واستخدام أسلحة حديثـة داخـل فرقـة الانكشـارية؛ فالانكشارية لم تكن ترفض هذا الأمر أو تعارضه بل كانت تسعى إليه؛ لأنه يزيد من قوتها وقدرتها على فرض سيطرتها على مقدرات ومفاصل الدولة.

---

(150) **İsmail Gül** : Osmanlı Devleti'nde Sultan Murad Dönemi Yeniçeri İsyanları,Sakarya Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, 2006, s. 80.

(١٥١) **فريدون أمجن:** مرجع سابق، ص ٧٢، ٧٣.

(152) **Enver Ziya Karal** : Tanzimattan Evvel Garplılaşma Harektleri, a. g. e., s, 21.

بل نقصد به هنا إعادة هيكلة فرقة الانكشارية لتعود من جديد كما كان الحال عند نشأتها، لتؤدي دورها كجماعة وظيفية في الدولة دون تدخل منها في شئون السلطة السياسية أو معارضتها أو التمرد عليها.

وفي هذا الإطار يمكن أن نفهم الإصلاحات التي قام بها السلطان مراد الرابع (١٦٢٣م- ١٦٤٠م) كسلطان قوي استطاع أن يكبح جماح الانكشارية كفصيل متمرد، وذلك عن طريق قتل كل من تسول له نفسه القيام بالتمرد والعصيان[١٥٣]. ولكنه لم يقم بأية محاولة لإعادة الانكشارية إلى ما كانت عليه كجماعة وظيفية لها صفات ومحددات معينة. ولم يكن القتل وحده يكفي لاستعادة السلطة لزمام المبادرة أمام الانكشارية التي فسدت بشكل كامل، ولم تعد تُجدي معها أية محاولة للإصلاح.

لذا؛ ما لبثت الانكشارية أن عادت إلى أسوأ مما كانت عليه عقب وفاة السلطان مراد الرابع. ذلك أن فرقة الانكشارية لم تعد ترى في خدمة السلطان واجبها الوحيد الضروري، بل سعت إلى اكتساب مصالحها الاقتصادية والسياسية الذاتية في ظل كونها القوى الاجتماعية الوحيدة والمنظمة والمسلحة على الدوام؛ مما عمَّق أزمة السلطة المركزية وأوصلها إلى درجة العداء معها[١٥٤].

ولكن هذا التضخم لدور الانكشارية قد تم في سياق انحلال السلطة في ظل انفصالها عن مجتمعها وضمور وتفكك ديناميتها السابقة؛ مما جعل تلك السلطة عاجزة عن تطوير مبانيها العسكرية والعلمية والتنظيمية مما

---

(١٥٣) انظر: **محمد فريد:** مرجع سابق، ص ١٢٦.

(١٥٤) **إرينا بتروسيان:** مرجع سابق، ص ٢١٥.

يتيح لها التصدي لجملة الأدوار السياسية التي انتُزعت منها[١٥٥]. ولعل تعرض الدولة العثمانية لعدد من الهزائم الفادحة، وتعرض أراضيها للضياع بشكل كبير، وشعورها بأن وجودها نفسه قد أصبح مهددًا أمام الدول الأوروبية؛ قد دفع الدولة دفعًا لاتخاذ أجراء كانت تتاور حوله وتؤجله لسنوات طويلة، ذلك الإجراء الذي تمثل في إنشاء جيش جديد على أسس وقواعد جديدة تختلف بشكل كُلي عن القواعد والأسس التي قامت عليها فرقة الانكشارية، مما يعني في حقيقة الأمر إلغائها والتخلص منها[١٥٦].

---

[١٥٥] **حسن الضيقه:** مرجع سابق، ص ١٠١.

[١٥٦] **انظر كمال بكديللى:** الدولة العثمانية من معاهدة قينارجه الصغرى حتى انهيارها، ضمن الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مرجع سابق، ج ١، ص ٧٨.

ثالثا: النتائج

شهد عهد السلطان سليم الثالث بداية مرحلة جديدة في علاقة الانكشارية- كجماعة وظيفية- بالسلطة الحاكمة انتقلت فيه العلاقة بين الطرفين من علاقة تعاقدية إلى علاقة إقصائية، تحاول فيها السلطة الحاكمة ليس إصلاح فرقة الانكشارية- التي استعصت على الإصلاح- ولكن استبدالها والقضاء عليها وإيجاد البديل لها.

فقد ظلت فرقة الانكشارية عبر تاريخها تعارض أي محاولة للإصلاح تلامس الأسس التي قامت عليها، واستطاعت في ذات الوقت أن تقيم عددًا من التحالفات العضوية المتواطئة معها؛ مكنت لها من مقاومة أية محاولة للإصلاح والتمرد عليها. لذا عندما قامت حركة الإصلاح في زمن السلطان سليم الثالث ثارت جماعات المصالح تلك الممثلة في العلماء والجماعات الوظيفية الأخرى كاليهود[١٥٧]، والفئات الاستغلالية الأخرى المناهضة لكافة حركات التجديد، واعترضت بشدة على أي إصلاح يطال فرقة الانكشارية، لتأكدها من أن هذا يؤدي بطبائع الأشياء إلى القضاء على مراكز النفوذ تلك لصالح مركز واحد ووحيد، هو مركز السلطان.

[١٥٧] كانت الأعمال المالية لفرقة الانكشارية تدار بمعرفة اليهود الذين حققوا ثروات طائلة بسبب توليهم لتلك الأعمال. وكان اليهود في بعض الأحيان يستولون على المقدرات المالية لفرقة الانكشارية مما كان يتسبب في قيامهم بالتمرد عليهم وقتلهم، مثلما حدث مع اليهودية استير كيرا واليهودي چلبي بيخور. ذلك أن العلاقة بين الانكشارية كجماعة وظيفية قتالية واليهود كجماعة وظيفية مالية كانت علاقة مشتبكة مضطربة تعاقدية تنافسية تقوم على أساس من الكره المتبادل وإن جمعتهم المصالح المتبادلة. وكان قتل اليهود في أغلب الأحيان يتم بمباركة من العلماء وجموع المجتمع العثماني. للوقوف على تفاصيل هذه العلاقة انظر: **أحمد أر أوغلو**: مرجع سابق، ص ١٨٢- ١٩٢.

ولهذا السبب فقد تيقن السلطان سليم الثالث– عملاً بنصيحة والده– من أن أية محاولة لإصلاح فرقة الانكشارية ستبوء بالفشل، لذا فكر في إنشاء نظام جديد للجند(١٥٨). ولكن هذا الأمر كان من الصعوبة بمكان، لأن الانكشارية كانت تدرك أن إنشاء جيش جديد سيعني بالضرورة القضاء عليها كجماعة وظيفية. إذ إن انخراط أفرادها داخل منظومة عسكرية متكاملة سيؤدي حتمًا إلى ذوبان تماسكها كجماعة وظيفية، وسوف يضعف من ميزتها كجماعة شديدة القرب من السلطة الحاكمة تحصل بحكم الضرورة على منافع وامتيازات نتيجة لقيامها لحماية تلك السلطة.

وقد كان على السلطة المركزية ممثلة في السلطان سليم الثالث أن تنتظر مفاعيل هزائم الدولة العسكرية والدبلوماسية التي تراكمت طوال القرن الثامن عشر– والتي أصابت فرقة الانكشارية في الصميم– لتوفر لها إحدى الشروط الأساسية التي مكنتها من خوض معركتها الفاصلة مع هذه الفرقة في الربع الأول من القرن التاسع عشر واستبدالها بذراع عسكرية جديدة(١٥٩).

وهذا ما حققته هزيمة الدولة العثمانية أمام روسيا والتي أظهرت الدولة بمظهر الدولة العاجزة عن حماية وجودها في مواجهة الدول الأوروبية التي تمكنت من تطوير جيوشها وأساليبها العسكرية ونظمها السياسية والاقتصادية بما يناسب احتياجاتها(١٦٠). وعقب تلك الهزائم فكر السلطان سليم الثالث في إنشاء جيش جديد إلى جانب جيش الانكشارية الذي

---

(158) **Yusuf Akçura**:Osmanlı Devletinin Dağılma Devri, TTK., Ankara, 1988, s.47- 48.

(١٥٩) **حسن الضيقه:** مرجع سابق، ص ١٠٢.

(١٦٠) **ماجدة مخلوف:** بدايات اتجاه المسلمين إلى الغرب إصلاحات السلطان سليم الثالث،حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد ٣١، اكتوبر– ديسمبر،٢٠٠٣م، ص ٢٥٤.

تحول إلى تجمع بشري يفتقر إلى التعليم والتربيــة ضــمن إطــار شــامل للإصلاح[١٦١].

أي أن السلطان سليم الثالث كان واعيًـا لخطــورة القضــاء علــى الانكشارية- كجماعة وظيفية- دفعة واحدة. لذا فقد فكر في عمــل جــيش جديد يسير بالتوازي مع فرقة الانكشارية، حتى إذا ضمن للدولة سندًا مــن قوة مسلحة جديدة تحميها وتحميه، أقدم على اتخاذ الخطوة النهائية المتمثلــة في القضاء على ذلك الفصيل المقاتل المتمثل في الانكشارية. ولهذا الســبب رأى السلطان سليم الثالث أنه سيكون من المفيد إعادة تنظيم فرقة الانكشارية الموجودة بينما يجري العمل لتجهيز جيش جديد على النمط الأوروبي. لــذا وُضعت لفرقة الانكشارية أيام محددة للتدريب الإجباري في الأسبوع، وسنَّت قوانين جديدة لأوجاقات المدفعية والخمبرجية[١٦٢] واللغمجية[١٦٣]، تشــترط ألا يتم قبول أي جندي في تلك الأوجاقات عن طريق الوســاطة والشــفعة، وعدم السماح للجنود بالزواج، وأن الكفــاءة والاســتعداد والمعرفــة التــي يظهرها الجنود والضباط في فنون القتال هي المعيار الوحيد للترقية[١٦٤].

---

(161) **Enver Ziya Karal** : Tanzimattan Evvel Garplılaşma Harektleri, a. g. e., s. 24.

(١٦٢) **الخمبره:** هي قنبلة مدورة كانت تطلق مــن المــدافع قــديمًا، والخمبــره جــي هــو قــاذف القنابل.والخمبرجية هو اسم اطلق على إحدى الأوجاقات العثمانية. وكان هذا الأوجاق يتألف مــن قسمين: الأول خمبرجيه أصحاب تيمار وزعامات، والثاني خمبرجيه أصحاب يومية. وكان يطلق عليهم في لغة الشعب القمبرجيه. انظر: **M. Z. Pakalın**: a. g. e., I cilt, S 854.

(١٦٣) **اللغمجية** : هو اسم لتشكيلات عسكرية في الدولة العثمانية كانت مكلفة بوظيفة إبطــال الألغــام التي كان يضعها العدو، وحفر الأنفاق لوضع البارود قرب قلاع العدو، وتعمير وإصلاح الجسور لمرور القوات عليها. انظر، **M. Z. Pakalın**: a. g. e., II cilt, S 348.

(164) **Enver Ziya Karal** : Osmanlı Tarihi, a. g. e.,5cilt., s, 65.

وهذا يُعد دليلاً على أن السلطان سليم الثالث كان يهدف من خلال تلك الإجراءات إلى إعادة خلق جماعة وظيفية جديدة أحدث عهد بانضباط، تتحقق فيها شروط الجماعة الوظيفية التي كانت ممثلة في الانكشارية عند نشأتها، والتي فسدت بسبب تغلغل أفرادها داخل المجتمع العثماني وتكوينهم لامتدادات داخل ذلك المجتمع عن طريق الزواج والاشتغال بالحرف المختلفة.

وكان السلطان بهذه الخطوة يحاول استعادة مركز السلطان لدوره في توازنات القوى السياسية في الدولة العثمانية. ذلك أن مركز السلطان بسبب تفكك وسيولة الحالة السياسية في الدولة العثمانية قد غدا مجرد منبر ينطق بأحكام، ويمارس سياسات، ويتخذ مواقف قد تمت صياغتها على يد مراكز القوى المختلفة مثل فرقة الانكشارية، ومؤسسة شيخ الإسلام التي كانت مصالحها تتقاطع في كثير من الأحيان لخلع سلطان أو المجيئ بآخر(١٦٥). ولعل السلطان سليم الثالث كان يهدف بهذا إلى استكمال الفكرة التي راودت بعض كبار رجال الدولة في عهد سلفه السلطان عثمان الثاني، والتي مفادها جمع جنود من الأناضول ومصر والشام وإنشاء جيش جديد ليكون بديلاً عن فرقة الانكشارية(١٦٦).

وقد اعتقد السلطان سليم الثالث أن الظروف التي عاندت تلك الفكرة في عهد السلطان عثمان الثاني وانتهت بقتله على يد الانكشارية، ستكون مواتية هذه المرة وتمكنه من تحقيق ما فشل فيه الآخرون.

---

(١٦٥) **حسن الضيقة:** مرجع سابق، ص ٧٩.

(166) **Feridun Emcen** : II. Osman mad, Türkiye Diyanet vakfı İslam Ansiklopedisi, 33 cilt, Ankara, 2007, S455.

ولكن السلطان سليم الثالث- الذي استوعبته بالكامل مشكلات الدفاع عن الدولة متصديًا لأكثرها إلحاحًا- لـم يتسـن لـه توظيـف العناصـر الضرورية لسياسته الإصلاحية المتمثلة في الرجال المتحمسين ذوي التأهيل الجيد والعدد الكافي إلى جانب دعم مالي راسـخ، فاضـطر إلـى القيـام بإجراءات استثنائية أدت إلى ارتفاع الأسعار، وأثارت سخط عدد كبير مـن السكان(١٦٧). ولذا وجد السلطان نفسه وحيدًا في مهمته لإصلاح حال الدولة، وتحديث الجيش العثماني، وظهرت أمامه قوى المعارضة التقليدية الممثلـة في العلماء والانكشارية. وقد ناصبت هذه القوى السلطان العداء؛ ممـا أدى في نهاية الأمر إلى خلعه من العرش وإلغاء النظام الجديد(١٦٨).

وكما كان الحال مع كل جهود الإصلاح في القرن السابع عشر التي كانت تنجح بمقدار القوة والشدة التي يظهرها الساعون إليه، وتبقـى رهنًـا بوجودهم، ولكن عقب وفاتهم سرعان ما تعود الدولـة مـرة أخـرى إلـى التخلف، وتصير إلى وضع يحتاج إلى الإصلاح من جديد(١٦٩). فقـد قـام السلطان مصطفى الرابع(١٨٠٧- ١٨٠٨م) بإلغاء كافة الإصلاحات التـي قام بها السلطان سليم الثالث نزولاً على رغبة الانكشارية؛ بل قام بعد ذلـك بقتل السلطان سليم نفسه في محاولة منه للقضاء على تمرد الانكشارية عليه، إلا أن الغلبة كانت هذه المرة أيضًا للانكشارية التي نجحت في عزله وتولية السلطان محمود الثاني مكانه(١٧٠).

---

(١٦٧) **روبير مانتران:** بدايات المسألة الشرقية، ضمن تاريخ الدولة العثمانية،مرجع سابق، ص ٢١.

(168)**Enver Ziya Karal** : Tanzimattan Evvel Garplılaşma Harektleri, a. g. e., s. 27.

(169)**Enver Ziya Karal** : Osmanlı Tarihi, a. g. e.,5cilt., s. 55.

(١٧٠) **انظر محمد فريد:** مرجع سابق، ص ١٩٥-١٩٧.

وقد أدى عزل السلطان سليم الثالث، ومن بعده السـلطان مصـطفى الرابع بهذه الطريقة، إلى تأكد السلطان محمود الثـاني مـن أيـة محاولـة للإصلاح في ظل وجود فرقة الانكشارية لن يُكتب لها النجاح، ولن تجـدي نفعًا طالما بقيت تلك الفرقة. لذا قرَّ في عقيدته أن يُقدم على الخطوة التي لم يستطع أحد من أسلافه القيام بها، مدركًا أن هذا الخيار رغم صعوبته هـو الخيار الوحيد أمامه لتحقيق أهدافه الإصلاحية.

وقبل أن يصل السلطان محمود الثاني إلى هذه النقطة ويُقدم على هذا الحل، سعى لبذل آخر محاولة لإصلاح فرقة الانكشارية، وذلك بـأن قلَّـد بيرقدار مصطفى باشا منصب الصدارة، ووكَّل إليه أمر تنظيم الانكشـارية. وقد نجح الصدر الأعظم في القيام بـبعض الإصـلاحات لإعـادة النظـام والانضباط إلى فرقة الانكشارية، واستحصل على فتوى بضـرورة تنفيـذ نظامات الانكشارية بكل صرامة وأصدر أوامره بذلك[١٧١].

ولكن الانكشارية لم ترض عن تلك الإصلاحات، ولا عـن أوجـاق "سكبان جديد" [١٧٢] الذي استحدثه مصطفى باشا؛ فثـار جنـد الانكشـارية محاولين إعادة السلطان مصطفى الرابع إلى العـرش مـن جديـد، إلا أن

---

[١٧١] **محمد فريد:** مرجع سابق، ص ١٩٧-١٩٨.

[١٧٢] **سكبان جديد** : هو الاسم الذي أطلق على التشكيل العسكري الجديد الذي شكله علـى طـراز الجيوش الأوروبية بيرقدار مصطفى باشا بدلا من جيش النظام الجديد. ولكي يتفادى سخط جنود الإنكشارية وضع له اسم "سكبان جديد" بدلا من اسم "نظام جديد" الذي كان ينفر منه الإنكشـارية. وكان أغلب من انخرط في هذا التشكيل الجديد هم من وصلوا من منطقة الروملي مـع بيرقـدار مصطفى باشا. وكان جنود سكبان جديد يتدربون في الثكنات القائمة في اسكدار، ويرتدون بزات عسكرية ذات شكل معين. ولتفادي غضب الإنكشارية أطلق على الجنود المتدربين اسم "الأوجاق الثامن".انظر، **صالح سعداوي:** مرجع سابق، ٧٢٨/٢، مادة "سكبان جديد".

بيرقدار مصطفى باشا قاومهم وانتهى الأمر بقتله عام ١٨٠٨م. وبعد قتل بيرقدار مصطفى باشا زاد بغي الانكشارية وتعرض الرعايا العثمانيين لشتى أنواع الظلم من قِبَل الانكشارية، من سرقة، ونهب، وقتل، وحرق، لم ترع فيها فرقة الانكشارية حرمة ولا ذمة للدولة والمجتمع(١٧٣). وأمام تلك الحال اضطر السلطان محمود الثاني للنزول على مطالبهم وقام بإلغاء عساكر سكبان جديد، بعد أن تم إحراق الثكنات التي كانت تأوي جنود هذه التشكيلات الجديدة(١٧٤).

وقد زات تلك الأحداث التي وقعت في العام الأول لتولي السلطان محمود الثاني الحكم من يقينه وعزمه على التخلص من فرقة الانكشارية التي فقدت هويتها كجماعة وظيفية بشكل كامل، وأخذت تنهش في جسد الدولة العثمانية المنهك أصلاً، لذا أخذ السلطان يتحين الفرصة ويفكر في الطريق الأمثل للقضاء عليها. ولم تكد تمر عدة سنوات على ذلك التمرد الذي حدث في بداية حكم السلطان محمود الثاني، إلا وقدَّم محمد علي باشا(١٨٠٥- ١٨٤٨م) والي السلطان على مصر النموذج الأمثل للقضاء على الانكشارية كجماعة وظيفية، وذلك عندما قام بالتخلص في عام ١٨١١م من الجماعة الوظيفية التي كانت تؤرقه في مصر- والمتمثلة في المماليك- عن طريق قتلهم وإبادتهم فيما سُمي بـ "واقعة القلعة"(١٧٥).

وقد مثل ذلك الاستئصال والإبادة الحل الأمثل بالنسبة للسلطان محمود الثاني للقضاء على تلك العقبة الممثلة في الانكشارية، وتحقيق

---

(173)**Enver Ziya Karal** : Osmanlı Tarihi, a. g. e.,5cilt., s. 145.

(١٧٤) **كمال بكديللى:** مرجع سابق، ص ٨٩.

(١٧٥) **انظر محمد فريد:** البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية، تحرير ودراسة: د. أحمد زكريا الشِّلق،الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،ط٢، ٢٠٠٥م،ص٥٣-٥٥.

مشروعه الاصلاحي، خاصة وأن الدولة المصرية بعد هـذه الواقعـة قـد سارت في طريق الإصلاح والتقدم، وحققت نجاحات بـاهرة عـن طريـق جيشها الجديد في كل معاركها الحربية، والتي كشفت للعيان حالة الضـعف والفساد التي كانت عليها قوات الانكشارية، وتركت انطباعًا طيبًا لدى الرأي العام القائل بضرورة وجود جيش مدرب[١٧٦]، وهذا ما كـان يصـبو إليـه السلطان محمود الثاني ويتمناه، لذا قرر الإقدام على الخطوة الأخيـرة فـي علاقته الملتبسة مع فرقة الانكشارية، تلك الخطوة التي تمثلت فـي وضـع فرقة الانكشارية أمام خيارين: إما أن تقبل الإصلاح بشكل كامـل بمعنـى الإدماج والتعديل والتحديث. أو ترفض الإصلاح بهـذا المفهـوم، وعنـدها سيكون القضاء عليها هو الحل الأمثل الذي سبقه إليه واليـه علـى مصـر محمد علي باشا.

وعلى ذلك دعا السلطان محمود الثاني في أوائل عام ١٨٢٦م إلـى الاجتماع بأركان الدولة، وكبار ضباط الانكشارية، وعلماء الأمة، في منزل شيخ الإسلام، في حضور الصدر الأعظم محمد سليم باشا الذي خطب فـي هذا الجمع، موضحاً أن ما تعرضت له الدولة من هزائم أمام الأعداء يعـود سببه إلى الخلل الذي أصاب الانكشارية. وأوضح أنه يجب تنظيم الانكشارية من جديد، فوافق الحاضرون على ذلك مؤكدين على أن تعلم الفنون الحربية هو أمر واجب ويدخل في باب طاعة أمير المـؤمنين، كمـا أن الإسـراع بإصلاح الجند فيه الخير والبركة للدولة وللأمة[١٧٧].

---

[١٧٦] **كمال بكديللي:** مرجع سابق، ص ٩٧.

[١٧٧] **أحمد جواد:** تاريخ عسكري عثماني، استانبول، ١٢٩٧هـ، ص ٢٧٦.

وعقب تلك الموافقة أسرع الصدر الأعظم بإبراز اللائحة الخاصة بتنظيم أوجاق الانكشارية وتعليمهم، ثم قرأ رئيس الكتاب الخط الهمايوني في حضور هذا الجمع من أعيان الدولة ورجالها. ثم توجه الصدر الأعظم بالخطاب إلى شيخ الإسلام فسأله: "أليس من الواجب تعلم وتعليم فن الحرب؟ فكان الجواب: أنه أمر واجب". وكانت هذه فتوى شرعية بوجوب إصلاح فرقة الانكشارية وتنظيمها(١٧٨).

ولكن القائمين على أمر الدولة في ذلك الوقت لم يلتفتوا إلى أن الانكشارية ليست جماعة من المجاهدين يسهل دفعهم إلى الإصلاح عن طريق تذكيرهم بطاعة الله تعالى، وطاعة ولاة الأمر، والانقياد للشرع؛ بل هم جماعة وظيفية لها منظومة قيَمية تمتاز بازدواجية المعايير، والنسبية الأخلاقية، والحركية المادية الخارجة عن إطار الحلال والحرام، ولها أهداف تسعى لتحقيقها في إطار من المنفعة الذاتية، بعيدًا عن أهداف سامية من قَبِيل طاعة ولاة الأمر، والحفاظ على الدولة، ونشر الدين، حتى وإن بدت فرقة الانكشارية في بعض الأوقات أنها تعمل لها ومن أجلها.

لذا؛ فقد سارعت الانكشارية في شهر يونيو من نفس العام ١٨٢٦م بالتمرد والعصيان من جديد- كعادتهم دائمًا في مواجهة أية محاولة للإصلاح تستهدف فرقتهم- مدركين أن هذه الإصلاحات لو كُتب لها النجاح ستنتهي بالقضاء على فرقتهم وانصهارهم التام في بوتقة تلك القوات الجديدة. ولكن السلطان محمود الثاني استشعر هو الآخر أن هذا صراع وجودي، إما ينتهي بانتصاره وتحقيق حلمه في القضاء على فرقة الانكشارية والبدء في مشروعه الإصلاحي، أو ينتهي بخلعه من العرش أو

---

(١٧٨) **أحمد جواد:** مرجع سابق، ص ٢٨٥.

حتى قتله. وعلى ذلك فقد أظهر السلطان محمود الثاني قوة وإصرارًا تجـاه تمرد الانكشارية، واستطاع عن طريق دعم رجال المدفعية الضباط المؤيدين للإصلاحات، ودعم العلماء الذين تنصلوا من الانكشـارية(١٧٩)، أن يقضـي على تمردهم؛ حيث قصف الثكنات التي تجمع فيها الانكشارية بالمدافع، ثـم قتل غالبيتهم– كما فعل محمد علي من قبل– وفي الأيام التالية تعرض مـن بقي منهم في العاصمة للمطاردة والاعتقال والإعدام، وقـد عُرفـت هـذه الواقعة في الكتابات التاريخية بـ "الواقعة الخيرية" (١٨٠).

وكما بدأت الانكشارية بالحصول على الشرعية عن طريق انتسـابهم للطريقة البكتاشية، كان لابد عند إلغاء مثل هذه الجماعة الوظيفية من نـزع الشرعية عنها بشكل كامل. وهذا ما حدث عندما تم التأكيد في الأمر العالي الذي نُشر عقب الواقعة الخيرية الذي احتوى على مضامين عدة، من قبيـل أنهم فروا من الجهاد والحرب، وأنهم تركوا القلاع والممالك تسقط في أيدي الأعداء، وأنهم أصروا على معاداة الدين، والخروج على الحاكم والدولـة،

(١٧٩) لقد أخذ كبار العلماء موقفاً معاديًا من فرقة الانكشارية في ذلك الوقت مؤيدًا للسـلطان محمـود الثاني في إلغائه لهذه الفرقة، يقوم على أساس الصلة الوثيقة التي تربطهـا بالطريقـة البكتاشـية المهرطقة، رغم أن هذه العلاقة كانت علاقة قديمة ممتدة ولم تكن خافية على أحد. ولكـن لعـل السبب الحقيقي في اتخاذ العلماء لهذا الموقف يرجع في رأينا إلى شعور العلماء بأن زيادة فسـاد الانكشارية بشكل كبير قد أخل بتوازن القوي لصالح الانكشارية، وأنهـم إذا تطـور الأمـر قـد يتعرضون لأذى الانكشارية المباشر كما حدث مع شيخ الإسلام فيض الله أفندي الذي قتل على يد الانكشارية المتمردين عام ١٧٠٣م، وسُحلت جثته علنا في شوارع أدرنة، ثم ألقيت جثته أخيـرًا في النهر بسبب مقاومته لهم.انظر، **أوربيل هايد:** موقف العلماء من الإصلاحات في عهدي سـليم الثالث ومحمود الثاني، مجلة الاجتهاد، العددان ٤٥، ٤٦، دار الاجتهاد، بيروت، شـتاء وربيـع ٢٠٠٠م، ص ٣٦– ٣٨.

(180) **Bak.Şamil Mutlu:** a. g. e., s. 21- 24.

وأنهم خرجوا عن إجماع الأمة، وأنهم خالفوا شريعة الله تعالى، لذا استحقوا أن يقام فيهم حكم الله، وأنهم سعوا في الأرض فسادًا، فاستحقوا أن يُقتَّلوا، وأن يُقهروا بسيف القهر والتدمير(١٨١).

وعقب إلغاء أوجاق الانكشارية(١٨٢) تم منع الطريقة البكتاشية، وتم إعدام عدد كبير من زعماء البكتاشية في استانبول، ونفي البعض الآخر إلى أماكن مختلفة في الأناضول بتهمة اشتراكهم في كافة أنواع التمردات التي قامت بها فرقة الانكشارية(١٨٣). وفي الوقت نفسه سعى القائمون على أمر الدولة حينئذ للتخلص من جماعة وظيفية أخرى كانت تساند فرقة الانكشارية، وهم اليهود، الذين كانوا يتولون الأمور المالية لأوجاق الانكشارية، لذا نجدهم بعد إلغاء فرقة الانكشارية قاموا بإعدام بعض كبار رجال المال اليهود الذين كانت لهم صلات واضحة مع أوجاق الانكشارية، وكانت التهمة هي تقديم مساعدات مالية إلى الانكشارية(١٨٤).

وفي الختام، يمكن القول أن إلغاء فرقة الانكشارية كان هو الحل الوحيد والمجرب للتخلص من تغول فرقة الانكشارية وطغيانها كجماعة

---

(١٨١) **انظر، أحمد جواد:** مرجع سابق، ص ٢٩٧-٣٠١.

(١٨٢) من اللافت للنظر أن أيًّا من الكتابات التاريخية لم تشر إلى أن أحدًا من جموع المسلمين قد ثار اعتراضًا على إلغاء أوجاق الانكشارية، مما يقوم دليلاً على أن فرقة الانكشارية لم تكن تشكل جزءًا أصيلا من نسيج المجتمع العثماني؛ بل إنها عقب فسادها تحولت إلى مصدر شغب للدولة وازعاج للسلاطين بتمرداتها في شتى أنحاء البلاد العثمانية. لذا فقد قوبل إلغاؤها بارتياح عام في الدولة، حتى أن واقعة القضاء عليها قد سميت بالواقعة الخيرية. **انظر، أحمد جواد:** مرجع سابق، ص ٣٠١؛ **ومحمد فريد:** تاريخ الدولة العلية، مرجع سابق، ص ٢٢٠؛ **وكمال بكديللى:** مرجع سابق، ص ٩٧، **وفاء البستاوي:** مرجع سابق، ص٤٠.

(183) **Enver Ziya Karal** : Osmanlı Tarihi, a. g. e.,5cilt., s. 150.

(١٨٤) **انظر، أحمد أر أوغلو:** مرجع سابق، ص ١٨٩-١٩٢.

وظيفية. وذلك بعد أن فقدت الانكشارية كنهها، ولم تعد تؤدي وظيفتها التي من أجلها أُنشئت، وتحولت- على حد وصف المؤرخ التركي أنور ضيا قارال- إلى حزب سياسي لا يعترف بقيمة أخرى غير منفعته ومصلحته الذاتية، ولم يعد بينها وبين الانكشارية عند نشأتها قديمًا سوى الاسم فقط(١٨٥)؛ مما يدحض الرأي القائل أن إلغاء الانكشارية كان بمثابة توجيه ضربة قوية إلى النظام العام بالدولة العثمانية، حيث أنه مس مؤسسة رئيسية في الدولة هي مؤسسة الجيش، كما أنه أدى إلى انهيار الجهاز الإداري العام للدولة، مما سبب ضررًا شديدًا للدولة على المستويين العسكري والإداري(١٨٦).

---

(185) **Enver Ziya Karal:** Osmanlı Tarihi, a. g. e.,5cilt., s. 150.

(١٨٦) **انظر، وفاء البستاوي**: مرجع سابق، ص١٥٩.

الخاتمة

عرفت جميع المجتمعات البشرية تقريبًا ظاهرة الجماعات الوظيفيــة، فهي تعبير عن شيء أساسي في النفس البشرية، وإن أخذت شكلاً أكثر حدة في الحضارة الغربية عنها في الحضارة الإسلامية(١٨٧). وهذه الظاهرة التي استحالت واقعًا لمرات عديدة عبر التاريخ، لا يعني بالضــرورة أنهــا قــد أصبحت حدثًا من التاريخ؛ بل يمكن القول أنهــا نمــوذج قابــل للظهــور والتكرار مرة أخرى وإن بأشكال أخرى في أي وقــت ســواء حاضــرًا أو مستقبلا، إذا ما توفرت لها نفس الظروف والعوامل التــي ســاعدت علــى ظهورها الأول.

وقد شهد المجتمع العثماني- شأنه في ذلك شأن أي مجتمع إنســاني- النمط نفسه من تلك الجماعات الوظيفية بكــل أشــكالها القتاليــة والماليــة، وأصبح وجود مثل تلك الجماعات يؤثر بشكل ملحوظ في مسار الأحداث في تاريخ الدولة العثمانية.

وكانت فرقة الانكشارية- ذلك الفصيل المقاتل- إحــدى أهــم تلــك الجماعات الوظيفية التي لعبت أدوارًا مهمــة علــى الصــعيد الــداخلي أو الخارجي، إن بشكل إيجابي أو سلبي، بداية من الشروع في تشكيلها في عهد السلطان أورخان وحتى إلغائها في عام ١٨٢٦م في عهد السلطان محمــود الثاني.

وقد خلصت الدراسة إلى أن الانكشارية كانت جماعة وظيفيــة ذات طبيعة عسكرية أُضيفت عليها شرعية مزيفة عن طريــق ربطهــا بطائفــة البكتاشية. وقد استُخدمت تلك الفرقة لتأمين سلطة السلطان العثمــاني فــي

(١٨٧) **عبد الوهاب المسيري:** الموسوعة، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ٢٣٨.

مواجهة القوى الفاعلة في المجتمع، والوقوف أمام أية حركة عصيان أو تمرد تقوم بها تلك القوى. ولأن الانكشارية بحكم وظيفتها كجماعة وظيفية كان لابد أن تكون غريبة عن المجتمع العثماني من الناحية العرقية والعقائدية. وقد تمثل ذلك في قصر الدخول إلى فرقة الانكشارية على الأفراد من غير الأصول التركية والمسلمة، وأن لا يُسمح لأفراده بالزواج، ولا بدخول الأتراك المسلمين إليه.

يضاف إلى ذلك أن العلاقة بين السلطة المركزية الممثلة في السلطان، وقوة الفعل الممثلة في الانكشارية، كانت علاقة تعاقدية نفعية تخلو من أية مرجعية أخلاقية، وتقوم على إعلاء كل طرف لمصلحته على حساب الطرف الآخر. لذا كانت تلك العلاقة علاقة عكسية، بمعنى أنه كلما زادت قوة السلطة المركزية الممثلة في السلطان تم تحجيم قوة الفعل الممثلة في الانكشارية، وكلما ضعفت قوة السلطة المركزية فإن الانكشارية كقوة فاعلة كانت تجد مجالاً أكبر للحركة والسيطرة.

ولهذا السبب كان دخول الأتراك المسلمين لفرقة الانكشارية والسماح لأفرادها بالزواج؛ السبب الأساس في فسادها كجماعة وظيفية. ولم يكن ذلك مرجعه إلى أن تلك الأشياء مُفسِدة في ذاتها؛ بل مرجعه إلى أن هذا قد أخل بالبناء الأيديولوجي والمادي لتلك الجماعة الوظيفية. لأن دخول المسلمين من أفراد المجتمع العثماني إلى تلك الفرقة، والسماح لأفراده بالزواج، والانتساب إلى ذات المجتمع، قد حوّل الانكشارية من جهاز تم تكوينه لمواجهة المجتمع، إلى قوة فاعلة قادرة لها قاعدة شعبية تمكنها من المشاركة في صنع القرار السياسي، ومواجهة السلطة الحاكمة، والتأثير في سير التطور الاجتماعي في الدولة.

وهذا الصراع على مركز الفعل السياسي في الدولة بين السلطة الحاكمة والممثلة في شخص السلطان، وبين فرقة الانكشارية، والذي تجلى على هيئة عصيان وتمرد كانت تمارسه تلك الفرقة، كان يؤدي في بعض الأحيان إلى صدام عنيف وصل إلى حد إزاحة السلطة السياسية الممثلة في شخص السلطان إما بخلعه أو قتله.

وقد أدى تضخم دور الانكشارية وخروجها عن أداء وظيفتها كجماعة وظيفية، ورفضها لأية محاولة للاندماج أو الاستيعاب، إلى التخلص منها بالقضاء عليها وبترها. لأن ذلك كان الحل الوحيد للحفاظ على صيرورة وجود الدولة، والحفاظ على السلطة السياسية، واستعادة هيبتها المفقودة، تلك الهيبة التي ساهمت الانكشارية في ضياعها بعد أن فقدت دورها كجماعة وظيفية تمارس دورًا محددًا في إحداث التوازن بين قوى الدولة الفاعلة لمصلحة السلطة المركزية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية

- **أحمد حكمت أر أوغلو:** اليهود في الدولة العثمانية حتى نهاية القرن التاسع عشر، ترجمة وتقديم وتعليق د. أحمد عبد الله نجم، مركز أركان للدراسات والأبحاث والنشر، القاهرة، ط ١، ٢٠١٩م.
- **أحمد زكي بدوي:** معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت،١٩٨٢م.
- **أحمد عبد الرحيم مصطفى:** في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة،١٩٩٩م.
- **أحمد يشار أوجاق:** الحياة الدينية والفكرية في الدولة العثمانية، ضمن الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، إشراف وتقديم أكمل الدين إحسان أوغلى، ترجمة صالح سعداوي، إرسيكا، اسطنبول، ١٩٩٩م.
- **أماني إبراهيم فودة:** التنظيم العسكري العثماني نشأته وتطوره ودوره في بناء الدولة العثمانية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، ٢٠٠٧م.
- **ايرين بيلديسينو:** البدايات عثمان واورخان، ضمن تاريخ الدولة العثمانية، إشراف روبير مانتران، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة،١٩٩٣م.
- **إيرينا بتروسيان:** الانكشاريون في الامبراطورية العثمانية، تقديم ومراجعة قسم الدراسات والنشر بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ٢٠٠٦م.

- **أوربيل هايد**: موقف العلماء من الإصلاحات في عهدي سليم الثالث ومحمود الثاني، مجلة الاجتهاد، العددان ٤٥، ٤٦، دار الاجتهاد، بيروت، شتاء وربيع ٢٠٠٠م.
- **بديعة عبد العال**: الفكر الباطني في الأناضول، الدار الثقافية للنشر،القاهرة،٢٠١٠م.
- **بهاء الدين يدي يلديز**: المجتمع العثماني، ضمن كتاب الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، إشراف وتقديم أكمل الدين إحسان أوغلى، ترجمة صالح سعداوي، إرسيكا، اسطنبول، ١٩٩٩م.
- **پول كيندي**: القوى العظمى، ترجمة د. عبد الوهاب علوب، دار سعاد الصباح، القاهرة، ١٩٩٣م.
- **جورجي زيدان**: تاريخ الجند العثماني منذ نشوء الدولة العثمانية إلى اليوم، مجلة الهلال، ج٨، السنة السابعة عشر، مايو ١٩٠٩م.
- **حسن الضيقة**: الدولة العثمانية الثقافة والمجتمع والسلطة، دار المنتخب العربي، بيروت،١٩٩٧م.
- **حسن كافي الآقحصاري**: أصول الحكم في نظام العالم، تحقيق نوفان رجا الحمود، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٦م.
- **خليل اينالجيق**: العثمانيون النشأة والازدهار، ضمن دراسات في التاريخ العثماني، ترجمة وتقديم وتعليق د. سيد محمد السيد، دار الصحوة، القاهرة،١٩٩٦م.
- **ــــــــــــــ**: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.

- **روبير مانتران:** بدايات المسألة الشــرقية، ضـــمن تـــاريخ الدولـــة العثمانية، إشراف روبير مانتران، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة،١٩٩٣م.
- **سهيل صابان:** المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخـــة، مراجعة د. عبد الرازق بركـــات، مكتبـــة الملـــك فهـــد الوطنيـــة، الرياض،٢٠٠٠م.
- **سونيا البنا:** فرقة الانكشارية ودورها في الدولة العثمانيـــة، ايتـــراك للطباعة والنشر،القاهرة،٢٠٠٦م.
- **صالح سعداوي:** مصطلحات التاريخ العثمـــاني، معجـــم موســـوعي مصور، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠١٦م.
- **طاشكوبرى زاده:** الشقائق النعمانية، تحقيق د. أحمد صبحي الفرات، منشورات كلية الآداب، جامعة استانبول، ١٩٨٥م.
- **عبد العزيز الشناوي:** الدولـة العثمانيـة دولـة إسـلامية مفترى عليهـا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م.
- **عبد القادر أوزجان:** النُظُم العسكرية العثمانية، ضمن الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، إشراف وتقديم أكمل الدين إحسان أوغلى، ترجمـــة صالح سعداوي، إرسيكا، اسطنبول، ١٩٩٩م.
- **عبد الوهاب المســيري:** موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٩٩٩م.
- ـــــــــــــــ: العلمانية الجزئية والعلمانيـــة الشـــاملة، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢م.

- **علاء موسى كاظم نـــورس:** مدى مسئولية الانكشارية فـــي تـــدهور الجيش، مجلة كلية الآداب العراقية، العدد الثلاثون،١٩٨١م.
- **فريدون آمجن:** التاريخ السياسي للدولة العثمانيـــة، ضـــمن الدولـــة العثمانية تاريخ وحضارة، إشراف وتقديم أكمل الدين إحسان أوغلى، ترجمة صالح سعداوي، إرسيكا، اسطنبول، ١٩٩٩م.
- **قاسم عبده قاسم:** السلطة بقوة السيف، مجلة الهلال، القاهرة، سبتمبر ٢٠٠٥م.
- **قوچى بك:** رسالة قوچى بك، ضمن نصوص من الفكر الإســـلامي، ترجمة وتقديم وتعليق د. عبد الرازق بركات، دار الهداية، القـــاهرة، ٢٠١٠م.
- **كمال بكديللى:** الدولة العثمانية من معاهدة قينارجه الصـــغرى حتـــى انهيارها، ضمن الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، إشـــراف وتقـــديم أكمل الدين إحسان أوغلى، ترجمـــة صـــالح ســـعداوي، إرســـيكا، اسطنبول، ١٩٩٩م.
- **لطفي پاشا:** آصف نامه، ضمن نصـــوص مـــن الفكـــر السياســـي الإسلامي، ترجمة وتقديم وتعليـــق د. عبـــد الـــرازق بركـــات، دار الهداية، القاهرة، ٢٠١٠م.
- **ليلي عبد اللطيف:** الإدارة في مصر في العهـــد العثمـــاني، مطبعـــة جامعة عين شمس، ١٩٧٨م.
- **ماجدة مخلوف:** بدايات اتجاه المســـلمين إلـــى الغـــرب إصـــلاحات السلطان سليم الثالث، حوليات كلية الآداب، جامعـــة عـــين شـــمس، المجلد ٣١، اكتوبر- ديسمبر،٢٠٠٣م.

- **محمد عاطف غيث:** قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعيـــة، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
- **محمد فريد:** تاريخ الدولة العلية العثمانية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٧م.
- ـــــــــــ: البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديويـــة، تحرير ودراسة: د. أحمد زكريا الشِّلق، الهيئة العامة لـــدار الكتـــب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م.
- **محمد فؤاد كوبرلى:** قيام الدولة العثمانية، ترجمة د. أحمـــد الســـعيد سليمان، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
- **نيقولا ڤاتان:** صعود العثمانيين(١٣٦٢– ١٤٥١م)، ضـــمن تـــاريخ الدولة العثمانية، إشراف روبير مانتران، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة،١٩٩٣م.
- **وفاء أحمد البستاوي:** فكرة الإصلاح في تذاكر أحمد جودت باشـــا، القاهرة،٢٠٠٩م.

ثانيًا: المصادر العثمانية

- **أحمد جواد:** تاريخ عسكري عثماني، استانبول، ١٢٩٧هــ.
- **بروسه لي محمد طاهر:**عثمــانلى مــؤلفلرى، مطبعــهء عــامره، استانبول،١٣٤٢ه.
- **شــمس الــدين ســامي:** قــاموس الأعــلام، مهــران مطبعــه سى،استانبول،١٨٩٦م.
- **كامل پاشا:** تاريخ سياسي دولت عليه عثمانيه، مطبعة أحمد احسان، استانبول،١٣٢٧هــ.
- **محمد ثريا:** سجل عثماني، مطبعهءعامره،١٣١١.
- **Hezârfen Hüseyin Efendi**: Telhîsü'l- Beyân Fî Kavânîn- i Âl- i Osmân, hazırlayan Dr. Sevim İlgürel, T. T. K. Basımevi, Ankara, 1998.
- **Muhammad Paşa**: Nesayıh'ul- Vüzera v'el- Ümerâ, Derleyen ve Çeviren, Hüseyin Rağib Ugural, TTK., Ankara, 1969.

ثالثا: المراجع التركية

- **Ahmet Yaşar Ocak:** Selçuk ve Osmanlı Dönemi Takkelerinde Dini Tasavuf Eğitime Genel Bakış. Türkiye Birinci Din Eğitimi Semineri, İlahiyat Vakfı yayınları.Ankara 1981.
- **Aydın Taneri**: Osmanlı Devletinin Kuruluş Döneminde Hükümdarlık Kurumunun Gelişmesi ve Saray Hayatı- Teşkilatı, Milli Eğitim Bakanlığı yayınları, ist., 2003.
- **Binhan Elif Yılmaz:** Osmanlı İmparatorluğu'nu Dış Borçlanmaya İten Nedenler ve İlk Dış Borç. Akdeniz İ.İ.B.F. Dergisi, 2002.

- **Ekmeleddin İhsanoğlu**: Tanzimat Öncesi ve Tanzimat Dönemi , Osmanlı Bilim ve Egitim Anlayış, 150 yılında Tanzimat, TTk yayınları, Ankara, 1992, S. 259.
- **Enver Ziya Karal:** Tanzimattan Evvel Garplılaşma Harektleri, Tanzimat'da, Milli Eğitim Basımevi,ist.,1999.
- **Fahri Unan:** Kuruluşundan Günümüze Fâtih Külliyesi, T. T. K. Ankara, 2003.
- **Feridun Emcen**: II. Osman mad, Türkiye Diyanet vakfı İslam Ansiklopedisi, 33 cilt, Ankara, 2007.
- **Hayreddin Karaman**: Osmanlı Hukukunda Mezhep Tercihi; Osmanlı, Editör: Güler Eren, yeni Türkiye yayınları, Ankara, 1999.
- **İlhan Tekeli:** Osmanlı İmparatorluğu'nda Eğitim ve Bilgi Üretim Sisteminin Oluşumu ve Dönüşümü, T. T. K., Ankara, 1993.
- **İsmail Gül:** Osmanlı Devleti'nde Sultan Murad Dönemi Yeniçeri İsyanları,Sakarya Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, 2006.
- **İsmail Hakkı Uzunçarşılı:**Osmanlı Tarihi,4 Baskı.T. T. K,Ankara, 1982.
- **Mehmet Ali Ünal:** Osmanlı Müesseseleri Tarihi, İsparta, 1997.
- **Mehmet Zeki Pakalın**: Osmanlı Tarih Deyimler ve Terimleri Sözlüğü, Milli Eğitim Basımevi, ist., 1983.
- **Mustafa Kara**: Osmanlı'da Tasavvuf ve Tarikatlar. Osmanlı Ansiklopedisi'de, İz yayıncılık,ist;1996.
- **Ömer Barkan:** Kolonizatör Türk Dervişleri, Vakıflar Dergisi, Sayı II, Ankara, 1942.

- **Sencer Divitçioğlu**: Osmanlı Beyliğinin Kuruluşu, Yapı Kredi Yayınları, İst., 2 baskı, 2000.
- **Şamil Mutlu**:Yeniçeri Ocağının Kaldırılışı ve II Mahmud'un Edirne Seyahatı, Edebiyat Fakültesi Basımevi, İst., 2 baskı, 1994.
- **Şükrü karatepe**: Osmanlı lar'da Devlet yönetimi, Osmanlı Ansiklopedisi'de, İz yayıncılık,ist;1996.
- **Tayyib Gökbilgin:** Osmanlı Müesseseleri Teşkilatı ve Medeniyeti Tarihine Genel Bakış, istanbul ünv. Edebiyat Fakültesi yayınları, ist.,1977.
- **Yılmaz Öztuna**:Tarih ve Politika Ansiklopedisi, Ötüken Neşriyat,ist.,2006
- **Yusuf Akçura**: Osmanlı **Devletinin** Dağılma Devri, TTK., Ankara, 3 Baskı, 1988.

المحتويات

الإهداء ٧
المقدمة ٩

المدخل

الإطار النظري للدراسة ١١
سبب ظهور الجماعات الوظيفية ١٥
تعريف الجماعة الوظيفية ١٥
صفات الجماعات الوظيفية ١٨

المبحث الأول

نشأة الانكشارية وتطورها كجماعة وظيفية : الأسباب والدوافع ٢١
علاقة الانكشارية كجماعة وظيفية بالطريقة البكتاشية ٤٥

المبحث الثاني

فساد الانكشارية: الأسباب والمظاهر والنتائج

الأسباب ٥١
المظاهر ٦١
النتائج ٧٢
الخاتمة ٨٤
قائمة المصادر والمراجع ٨٧
المحتويات ٩٥